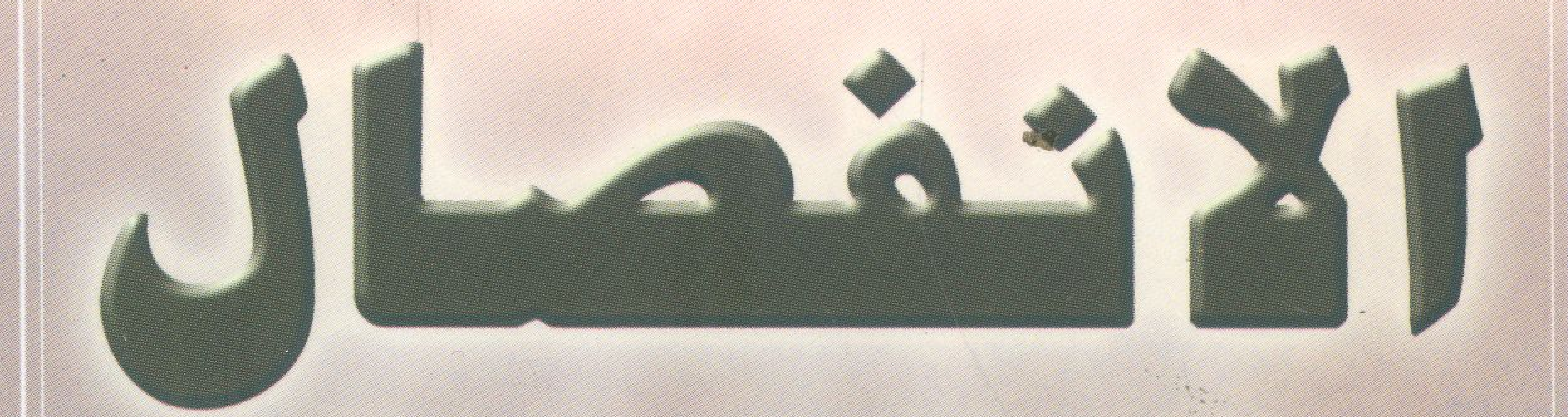


الانفصال





مراد فارس

"اسألوا عن السبل القديمة"

ارميا ٦: ١٦

(٣)

الانفصال

مراد فارس

بيت عنيا

المصنف : الانفصال

الكاتب : مراد فارس
Email :moradffahmy@yahoo.com
:moradffahmy@gmail.com
الناشر : بيت عنيا – مركز المطبوعات المسيحية
ص.ب. ٣٦ رمسيس – القاهرة

المطبعة : الشركة المصرية للطباعة «شبرد» ت: ٢٦٣٦٢٣٨١

التوزيع : مكتبة الإخوة ٣ شارع أنجه هانم شبرا –
والمكتبات المسيحية الأخرى

رقم الإيداع بدار الكتب القومية : ١١٠١٧ / ٢٠٠٩

الترقيم الدولي : **ISBN -977 – 5068 - 90 - 8**

الطبعة الأولى : يونيه ٢٠٠٩

الفهرس

مقدمـــة

إن وجوب انفصال القديسين عن كل ما لا يتفق مع طبيعة الله هو حقٌ تستلزمه قداسته، وهو حقٌ يملأ كلمة الله من بدايتها إلى نهايتها. وقد ارتبطتْ دائمًا حالة شعب الله في كل العصور بمدى تطبيق مبدأ الانفصال، فسَمَتْ عندما انفصلوا إلى الله، وانحدرتْ عندما أهملوا هذا الحق واختلطوا بالعالم أو الوسط الديني المحيط بهم.

لذلك فإننا نحتاج أن نفهم فكر الله من جهة الانفصال، وعن أي شيء ننفصل، وإلى أين نذهب حين ننفصل. كذلك ينبغي أن نفهم متى لا يكون الانفصال بحسب فكر الله، فكما نحن عرضة لأن نهمل الانفصال في وقت ينبغي أن ننفصل فيه عن الوسط المحيط بنا، كما حدث بعد رجوع المسبيين من بابل (عز٧: ١)، فإننا عرضة كذلك لأن ننتهج مسلك الانفصال عن شعب الله لكبرياء في القلب مثل الفريسيين، أو لنزعات شخصية، مثلما حدث في أيام رحبعام الملك ابن داود، حين انفصل عنه عشرة أسباط بقيادة يربعام بن ناباط، فتركوا مقدس الرب وذهبوا إلى عجول الذهب (١مل١٢: ١٢-٢٠، ٢٥-٣١).

وما أرجوه لنفسي، ولكل إخوتي أحبائي الذين يقرأون هذا الكتيب، أن يمنحنا الرب نعمة الطاعة لكلمته، حتى لو كانت تحكم علينا وعلى تصرفاتنا، وحتى يُصحح كل واحد منا مسيرته، فنفحص حالتنا في نور إعلانه، ونطيع كل ما تُعلّمنا إياه كلمته.

لمـاذا الانفـصـال؟

إن قداسة الرب لا تسمح بالشر في أقل درجاته في محضره بل لا بد أن تحكم عليه، لذلك متى كان الوسط المحيط بنا لا يتوافق مع قداسة الرب، فإنه علينا أن نختار، إذ يستحيل في هذه الحالة أن نكون في شركة مع الله ونتمتع بمحضره، وفي نفس الوقت نحتفظ بمكاننا في الوسط الذي لا يتوافق مع قداسته، فالبون شاسعٌ، والتناقض لا علاج له.

ليس معنى هذا أننا نحتاج أن نصل إلى القداسة الكاملة لكي نتمكّن من الوجود في محضره، فهذا لن يكون إلا في بيت الآب، ولكن معنى السماح بالشر هو أن يوجَد الشر بلا إدانة. فإن كان الشر مُدانًا ومحكومًا عليه عندي، فإنني أكون متوافقًا مع قداسته بالرغم من الخطية الساكنة فيَّ، والرب فيه العلاج لحالتي وأنا في محضره. ولكن أن نظن أنه من الممكن أن نغض الطرف عن الشر ونبقى في شركة معه فهذا من رابع المستحيلات، لأن إلهنا نارٌ آكلة.

فمن جهة ما فيَّ، فإني أعلم أنه ليس ساكنٌ فيَّ أي في جسدي شيءٌ صالح، لذلك فإن كنت أعترف عن اقتناع بأن هذه حالتي، وأضع ثقتي في الرب الذي مات لأجلي، لأنه في موته دان الله طبيعة الخطية التي تسكن جسدي، وأقف في صف الله ضد ذاتي، فأدين أنا أيضًا الخطية الساكنة فيَّ ولا أقبل المهادنة أو التهاون معها، فإني بالرغم من بقائها فيَّ أكون في توافق مع فكر الله من جهتها، وهكذا لا يعوق وجودها فيَّ أن أوجَد في شركة معه. أما متى شعرت بأن ما فيَّ من طبيعة خاطئة ليس بالسوء إلى الحد الذي يوجب أن أحكم عليها بحكم الله الذي أتمه ضدها في الصليب، وهو

الموت ليس أقل (رو٨: ٣)، أو أكون مقتنعًا داخليًا بأني في ذاتي لي بعض الصلاح والبر، فإنني لن أستطيع الوجود في شركة مع الله القدوس بطبيعة خاطئة لم أحكم عليها.

هذا من جهة ما فيَّ. ولكن ماذا من جهة ما حولي؟ إن طبيعة الخطية ساكنة فيَّ، فلن أستطيع أن أنفصل عنها، ولكنني أستطيع أن أدينها عمليًا، وأما الشر الذي حولي فحتى لو كنت أدينه بالقول أو أتجنبه أنا شخصيًّا، فإنني لا أستطيع أن أدينه عمليًا مثلما أفعل مع الخطية الساكنة فيَّ، إذ ليس لي سلطان عليه. ولكن إدانة هذا الشر تكون فقط في أن أنفصل، ليس فقط عنه، بل عمَّنْ يمارسونه أيضًا، بل أكثر من ذلك كما يتضح لنا من كلمة الله، ينبغي أن أنفصل عمَّنْ لا ينفصلون عن الذين عندهم هذا الشر، حتى ولو كانوا هم أنفسهم أبرارًا لا يمارسونه. فانفصالي عن الشر لا يكفي في هذه الحالة، لأنني لو احتفظت بالشركة مع مَنْ يمارسونه أو يخالطون مَنْ يمارسونه، لا أستطيع أن أكون في شركة مع الرب الذي لا يقبل ذلك، حتى لو تجنبت أنا شخصيًا فعل الشر عمليًا. وهذا ما حرَّض عليه الرسول بولس القديسين في أفسس بقوله: "فلا تكونوا شركاءهم" (أف٥:٧)، وليس فقط "لا تشتركوا في أعمال الظلمة غير المثمرة" (أف٥:١١).

ولكن لكي لا يلتبس الأمر على القارئ، يجب أن أوضح أن المقصود بالانفصال هو عدم الاختلاط بمثل هؤلاء في أمور الله، من عبادة أو خدمة، أو ممارسات دينية قد يعتبرها العالم عبادة مسيحية، ولكنها لا تتفق مع قداسة الله وحقه، وليس من جهة المعاملات التي بها نواجه احتياجاتنا اليومية الطبيعية، فإن كنا لسنا من العالم، لكننا في العالم من جهة وجودنا في جسد اللحم والدم.

وسوف نستعرض تعليم كلمة الله في هذا الشأن لتتضح لنا هذه الحقيقة، ليس بحسب مقاييسنا نحن للقداسة، ولكن بحسب مقاييس الله.

* * *

انفصالٌ مُبكِّر

استقلالية قايين عن الله

يطالعنا سفر التكوين في بداياته على الإنسان وقد أخطأ، فاستوجب الأمر طرده من محضر الله. ولكن الله أوجد لآدم وحواء طريقًا للاقتراب من جديد إليه بواسطة الذبيحة، لا في جنة تستلزم البراءة لمَنْ يكون فيها، بل خارج الجنة حيث المسؤولية التي تستلزمها معرفة الإنسان للخير والشر. وقد ظهر فشل الإنسان تحت المسؤولية أولاً في قايين، الذي ابتدع لنفسه طريقًا للاقتراب إلى الله رآه لنفسه واستحسنه[1]، فانتهى به هذا الطريق إلى قتل أخيه، وأكثر من ذلك الكذب على الله (تك٤: ٣-١٢)، الأمر الذي دلَّ على جهله بقداسة ذاك الذي هو نارٌ آكلة، وعيناه كلهيب نار.

وقد كان حُكم الله على قايين أن يكون تائهًا وهاربًا في الأرض، لعل تيهانه وهروبه يجعلانه يشعر بحاجته إلى الله، فيعود تائبًا إليه.

---

[1] كان قايين متدينًا، وهو أول من حاول الاقتراب إلى الله قبل هابيل، لكنه لتدينه النابع من ذاته وفكره الخاص يصفه الكتاب بأنه "منَ الشرّير" (١يو٤: ١٢).

ولو فعل لوجد ذبيحة الخطية لازالت رابضة عند الباب، واشتياقها إليه لم يضعف (تك٤: ٧).

ولكن قايين الذي ظن أنه يستطيع أن يحل بطريقته مشكلة طرد الإنسان من الجنة، واللعنة التي حلّت على الأرض، فاستصلحها وقدَّم من ثمرها لله، لم يُغيِّر طريقه بل استمر فيه، فأوجد لنفسه حلاً أيضًا لمشكلة القضاء الذي حكم الله به عليه في التيه والهروب، فخرج من لدن الرب وبنى مدينة ليستقر ويسكن فيها في تحدٍ واستقلال عن الله (تك٤: ١٧)، ومن هنا بدأت المدنيَّة العالمية.

لامك السابع من آدم

وتطوَّرت ملامح طريق قايين في نسله من بعده، حتى نصل إلى السابع من آدم وهو لامك، الذي لم يكتفِ بقتل واحد كأبيه قايين، فقتل اثنين. وتطوَّرت ملامح الاستقلالية عن الله في أبنائه، فكان واحدٌ منهم رجل الصناعة، وآخر رجل الثروة الحيوانية، والثالث سدَّ ركنًا هامًا في الحضارة والمدنيَّة، وهو الفن والترفية (تك٤: ١٩-٢٢).

الدعوة باسم الرب

بالمقابلة مع هذه الصورة التي نراها في قايين ونسله نجد صورة مناقضة في شيث ونسله. فبينما دعا قايين اسم المدينة التي بناها باسم ابنه "حنوك"، نجد أن شيئًا عندما ولد أنوش "ابتُدِئ أن يُدعى باسم الرب". هذا يكشف لنا أن العالم حينئذ انقسم إلى فريقين متميِّزين، فريق يدعو باسم ذاته، والآخر يدعو باسم الرب، فهل يمكن أن تكون لهما شركة معًا؟ وهل يمكن لنسل شيث أن يدعو باسم الرب في مدينة حنوك، واسمها يشهد بأن سكانها يدعون باسم ابن قايين؟ لكن هل استمر نسل شيث على مبدئه في الانفصال؟ بكل

أسف عندما نصل إلى السابع من آدم عن طريق شيث تتضح لنا الصورة المحزنة.

أخنوخ السابع من آدم

بالمقابلة مع لامك السابع من آدم من نسل قايين، الذي حقق نجاحًا عالميًا عظيمًا، وبنى حضارة مكتملة المعالم، نجد أخنوخ المنفصل يسير مع الله. أين باقي نسل شيث؟ بكل أسف لحقوا بقايين وطريقه، ولم تعد هناك شهادة لله بينهم سوى في أخنوخ وابنه متوشالح، الذي معنى اسمه "مات فأرسل"، فانفصل أخنوخ حتى عن النسل الذي كان يومًا يدعو باسم الرب، "وسار أخنوخ مع الله".

من الواضح أن شهادة أخنوخ بدأت وهو في سن مبكرة نسبيًا، إذا أخذنا في الاعتبار أعمار تلك الأجيال، فقد وَلَدَ متوشالح وهو ابن خمس وستين سنة، وأعطى ابنه اسمًا يدل على الشهادة التي كانت عنده، فالله مزمع أن يصب الدينونة على الأرض بسبب شر الإنسان (يه١٤)، وهذا الابن يبقى شهادة للناس على هذا الحق إلى أن يتحقق، فعند موته سيُرسل الله القضاء. ثم عاش بعد ذلك ثلاث مئة سنة، وولد بنين وبنات كآبائه، وسار مع الله ولم يوجَد، وكان اختفاؤه شهادة من الله على صدق نبوته بالدينونة التي تمت في الطوفان.

كيف أخذه الله؟ لقد انفصل عن الخطاة، لأنه لم يكن ممكنًا أن يسير مع الله ومعهم في آن واحد. إنه لم ينفصل عن نسل قايين فقط، بل عن نسل شيث وإخوته من آدم، لأن الجميع زاغوا وفسدوا، ولم يكن بينهم تائب، حتى مع سماعهم نبوة أخنوخ، ومع وجود متوشالح أمامهم ليذكّرهم بها. لقد كان انفصاله إلى الله معناه أن يسير في طريق يخالف فيه تيار كل العالم.

حتى نسل أخنوخ، أين هم منه؟ فعندما نصل إلى نوح لا نجد من البنين والبنات الذين ولدهم أخنوخ أو متوشالح أو لامك أبو نوح ولا من نسلهم أحدًا يدخل الفلك مع نوح وأبنائه. لقد فسدت كل الأرض، لكن الله في أمانته حفظ الشهادة في نوح وبيته.

* * *

المنفصل الأعظم

أخنوخ مجرد ظل

لكن أخنوخ ما هو إلا ظلٌ للمنفصل الأعظم يسوع ربنا. فهو الذي جاء إلى الإنسان الخاطئ، لا بمجرد نبوة عن القضاء، وإن لم يستبعدها من أقواله، ولكن كان الهدف الأساسي أن يوجد بموته طريق الخلاص للإنسان الخاطئ. وقد عاش بين الناس منفصلاً انفصالاً حقيقيًا. فبينما كان يوحنا يُعمِّد (مت٣: ١٣)، جاء هو ووقف في صف أولئك التائبين المنفصلين عن الشعب قاسي الرقبة، مع أنه هو نفسه لم يكن له ما يتوب عنه، فهو الذي لم يفعل خطية، ولم يعرف الخطية، ولم تكن فيه خطية. لكن انفصاله إلى الله كان يستلزم أن يكون في وسط المنفصلين إلى الله بالتوبة. لكن الآب صنع ما يُظهر تميُّزَه عن باقي المعتمدين إذ شهد له، والروح القدس حلَّ عليه.

يقبل خطاة

كان يقبل خطاة ويأكل معهم، فكل خاطئ أتى إليه مُبديًا التوبة لم يخرجه خارجًا. إن التوبة تعني إدانة الشر، وكما رأينا سابقًا هذا مؤهل للإنسان على الأرض ليكون في محضر الله متى انفصل إليه، هذا ما أثار حفيظة الفريسيين الذين لم يروا في أنفسهم حاجة إلى التوبة، لأن قبوله للخطاة التائبين كان يدينهم.

وبعد أن أكمل العمل، وتمَّم الشهادة عن الطريق الذي أعدَّه الله للخلاص، ليس بالكلام بل بموت الصليب، انفصل حرفيًا وليس فقط أدبيًا عن الخطاة، ولم يوجَد، فقد صار أعلى من جميع السماوات.

أين هو؟

أين هو ذاك الذي انفصل عن الخطاة؟ لقد مات خارج المحلة، خارج النظام الديني. وبالنسبة للعالم قد مات ودُفن، ولم يعد العالم يراه الآن. ومَنْ يريد أن يجده عليه أن يذهب إلى حيث ذهب هو، فإن بقيتُ في المحلة الدينية، حتى ولو سُمِّيَتْ مسيحية فلن أجده هناك، وإن مكثتُ مع العالم، حتى ولو كان يُسمَّى بالعالم المسيحي، فهو ليس هناك كذلك. إن كنتُ حقًا أريده فعليَّ الخروج من المحلة بكل ما تعنيه المحلة أدبيًا، وأنفصل عن العالم بكل ما يعنيه العالم أدبيًا، ومتى خرجتُ طالبًا إياه فإنه هو سيجدني، كما فعل مع المولود أعمى بعدما أخرجوه من المجمع (يو ٩: ٣٥-٣٨). سأراه، وهناك فقط يمكنني أن أسجد له.

* * *

خروج بعد خروج

إن مَنْ يتتبع تاريخ مَنْ ساروا مع الله يلاحظ أن السير معه استلزم الخروج من الوسط المحيط بهم كلما اقتضت الحالة ذلك. فجميع التدابير السابقة باستثناء التدبير الأول تنتهي بخروج لبقية من بين المجموع المُرتد عن الله، علاوة على تكرار الخروج للبقية أحيانًا أثناء التدبير الواحد. أما التدبير الأول والإنسان في حالة البراءة فقد انتهى بخروج آدم وحواء من محضر الله. هذا أيضًا خروج اقتضته قداسة الرب الإله، ولكنه لم يكن بالطبع انفصالاً لبقية إلى الرب.

أخنوخ ونوح

فسدت الأرض، فخرج أخنوخ من كل العالم وسار مع الله ولم يوجَد، أما نسله فمَنْ حفظ طريقه مع الله منهم كان لا بد له من الخروج من العالم القديم الشرير، وكان ذلك بالفلك. كانوا بقية صغيرة جدًا، تتمثل في أربعة من الرجال من بيت واحد مع نسائهم، وللقارئ أن يتخيَّل تعداد عالم تجاوزت الأعمار فيه التسع مئة عام. لكن هذه البقية الصغيرة جدًا كانت في نظر الله أعظم من العالم بألوف ربواته، ودبَّر لها تدبيرًا خاصًا جدًا لحفظها في يوم الغضب (تك٦، ٧).

دعوة أبرام

مرة أخرى يعود الإنسان إلى ما كان عليه، فتفسد الأرض، ولكن الله حفظ أبرام شاهدًا له، وعندئذ كان لا بد أن يُخرج أبرام من عاصمة العالم (تك١٢: ١). وبدأ الله تدبيرًا جديدًا يتعامل فيه مع

أبرام ونسله. فخرج أبرام وراء الرب إلى أرض كنعان وصار بداية لهذا التدبير.

لم يخرج أبرام[1] إلى عالم مجهول، وإن كان قد خرج وهو لا يعلم إلى أين يأتي (عب١١: ٨)، ولكنه كان يعرف أنه ذاهب إلى المكان الذي يقوده الرب إليه. أين هو هذا المكان؟ وما هي حالته؟ وهل فيه حضارة مثل أور الكلدانيين أم لا؟ كل هذه وغيرها أسئلة كان من الممكن أن تدور بخُلد أبرام، لكن الإجابة هي: هو المكان الذي يختاره الرب، وفيه أستطيع أن أراه وأن تكون لي عِشرة معه. إذًا ليس موضعه أو حالته محل استفسار أو اختبار، لأني أثق في صلاحه، ويكفيني أنه هو الذي اختار هذا المكان.

خروج الشعب

ومرة أخرى يبتعد نسله عن إلهه، ويقع تحت العبودية في مصر. ولكن الله في أمانته من نحو إبراهيم يُخرج الشعب من مصر ليبدأ به عملاً جديدًا ويخصصه لنفسه شعبًا يسكن هو في وسطه، فخرج الشعب من مصر وراء الرب.

كان ينبغي أن يكون للشعب نفس فكر إبراهيم حين خرج وهو لا يعلم إلى أين يأتي في ثقة تامة في الله، ولكن لم يكن الشعب عامة في الحالة التي تجعلهم يفكرون بنفس طريقة أبيهم إبراهيم. لكنهم على أي حال خرجوا، ولو أن خروجهم كان تحت ضغط الرغبة في الهروب من العبودية القاسية. ولكن حسنًا أنهم خرجوا وهم لا يعلمون إلى أين سيقودهم الرب إله آبائهم.

---

[1] عن هذا الموضوع أضفت ملحقا خاصا في نهاية الكتيب لأهميته.

خروج المسيحيين

لسنا في حاجة لأن نسرد تاريخ الشعب في الأرض، فهو مُسجَّل في أسفار العهد القديم، ولكن يكفي أن ننظر إلى نهاية الشعب الذي خرج وراء الرب في البرية عندما جاءه ربنا يسوع، وكيف أسلموه لقضاء الموت خارج المحلة مرفوضًا من الشعب وقادته.

لكن الله في أمانته الدائمة أبقى له بقية كما في كل المرَّات السابقة. وكان أمرًا حتميًا أن يُخرج الرب هذه البقية من اليهود خارج حظيرة الناموس ليبدأ تدبيرًا جديدًا. فدعا خرافه الخاصة من اليهود الذين كانوا فيها بأسمائهم وخرج هو أمامهم (يو١٠: ٣-٥)، فمَنْ كانوا من خرافه تبعوه وخرجوا إليه خارج المحلة حاملين عاره. لكن كان يليق بعمل المسيح الذي مجد الله وأرضاه تمامًا بالصليب أن يكون التدبير الجديد الذي يعقب هذا العمل هو تدبير نعمة الله، التي لا تُفرِّق بين اليهود والأمم، لذلك ضم الرب إلى هذه البقية خرافًا أُخر لم تكن من تلك الحظيرة (يو١٠: ١٦) هم الأمم الذين قصد الله منذ الأزل أن يكونوا شركاء في الكنيسة (أف٣: ٦). فخرج اليهود الذين آمنوا من حظيرتهم، وخرج الأمم الذين قبلوه من عباداتهم الوثنية، وضم الرب كليهما معًا ليكونوا خاصة له مقدسة منفصلة إليه (أف٢: ١٥-١٩). ولكن هل بقوا معه خارج المحلة؟

في متى٢٥: ١-١٣ يُشبِّه الرب المسيحيين بعشر عذارى "أَخَذْنَ مَصَابِيحَهُنَّ وَخَرَجْنَ لِلِقَاءِ الْعَرِيسِ". كان هذا هو الخروج الأول الذي تم عقب قيامة المسيح من الأموات، لكن "فِيمَا أَبْطَأَ الْعَرِيسُ نَعَسْنَ جَمِيعُهُنَّ وَنِمْنَ". لقد آوين إلى بيت كبير (٢تي٢: ٢٠) حيث نسين أن العريس آتٍ. ولكن "فِي نِصْفِ اللَّيْلِ صَارَ صُرَاخٌ: هُوَذَا الْعَرِيسُ مُقْبِلٌ، فَاخْرُجْنَ لِلِقَائِهِ" فكان أن بقية مُمثلة في خمس عذارى

حكيمات خرجت مرة أخرى للقاء العريس. هكذا نرى أنه كان هناك خروج متوالٍ للبقية في كل العصور، وليس فقط عند نهاية التدبير أو بدء تدبير جديد.

* * *

شعب يسكن وحده

امتياز خاص

بخروج شعب إسرائيل من مصر وُجد لأول مرة في التاريخ شعبٌ منفصل إلى الله. كان قبل ذلك هناك أفراد ينفصلون إلى الله عندما يفسد المحيط الذي حولهم. لكننا هنا أمام شعب يخرج، وينفصل، ويسير وراء الله في البرية. وهنا أصبح قصد الله الأزلي في أن يسكن مع الإنسان الذي لذّاته معه، من الممكن أن يتحقق ولو جزئيًا. كان للأمناء قبل ذلك أن يتمتعوا فرديًا بالعشرة مع الله، ولكن الآن أوجد الله شعبًا يستطيع أن يسكن في وسطه.

إن المؤمن في أي وقت يستطيع أن يتمتع بالشركة الشخصية الفردية مع الرب، وهذا امتياز عظيم جدًا، ولكن هناك ما هو أعظم، وهو أن يكون المؤمن ضمن الشعب الذي يسكن الله في وسطه. كان الله في وسط الشعب القديم في صورة رمزية، أما الآن فإن الله يسكن بروحه في الكنيسة. هذا امتياز لمؤمني التدبير الحاضر يفوق بكثير امتياز الشركة الفردية مع الرب، ويفوق أيضًا بكثير امتياز مؤمني عهد الناموس الذين تمتعوا بحضور رمزي للرب في وسطهم.

تكلفة الامتياز

لكن التمتع بهذا الامتياز له كلفته، فإن لم يكن المؤمن على استعداد لتحمل التكلفة فلن يستطيع امتلاكه. فالله الذي يسكن بالروح في الكنيسة إله قدوس، ولا يمكن أن يسكن وسط النجاسة، ولا يمكن أن يوافق على ما لا يتفق مع طبيعته. لذلك فإن كلفة هذا الامتياز هي الانفصال إلى الرب، فكما لم يكن في الإمكان أن يجمع الشعب بين مصر ومقدس الرب، هكذا لا يمكنني أن أجمع بين العالم ومحضر الرب.

اقتراح فرعون

اقترح فرعون على موسى أن يعبدوا الرب في أرض مصر (خر٨: ٢٥)، لكن موسى الفاهم لفكر الله رفض، لأن مصر ليست هي المكان الذي يوافق الله على أن يجعل مسكنه فيه، حتى ولو كان وسط شعبه. ولو قبل ذلك جدلاً لصار الله في نظر المصريين ليس سوى واحد من الآلهة الكثيرين عندهم.

فرعون اليوم

ولازال فرعون الحقيقي، إبليس الماكر، يخدع الكثيرين بمميِّزات خلط عبادة الرب بالعالم، ويقترح عليهم بإلحاح أن يبقوا في العالم بدعوى أن يخدموا الله بين الجموع الكثيرة، ويوهمهم أن الانفصال سيؤدي إلى تقليص مجال خدمتهم. ويرن في آذانهم: ومَنْ سيسمع صوتكم في البرية؟ أ ليس المسيح هو الذي أرسلكم إلى العالم أجمع؟ وما قيمة عبادة الرب والتمسك بحضوره في الوسط بينما هناك في العالم نفوسٌ محتاجة للخدمة؟ وهو لا يكتفي بأن يُقنع مَنْ يريد الانفصال إلى الرب بالبقاء في العالم وعدم الخروج إليه خارج المحلة، بل يفعل ما لم يكن لفرعون أن يفعله، إذ يحث من انفصلوا

بالفعل ليرجعوا عن انفصالهم للرب، ويحاول تصوير خطوتهم في الخروج إليه خارج المحلة، أو بعبور ما كان البحر الأحمر يرمز إليه، بأنها خطوة في الطريق الخاطئ، وأن عليهم أن يرجعوا وينطلقوا في خدمتهم للرب ويعطونها الأولوية قبل عبادة الرب في انفصال عن كل ما لا يتوافق مع قداسته، حتى يقولوا "أَ لَيْسَ خَيْرًا لَنَا أَنْ نَرْجِعَ إِلَى مِصْرَ؟.... نُقِيمُ رَئِيسًا وَنَرْجِعُ إِلَى مِصْرَ" (عد١٤: ١-٤).

إن كلام إبليس إلينا في هذا الخصوص مقبولٌ للعقل الذي يستعمل الحكمة الإنسانية، ويضع البشر أمام عينيه قبل الرب نفسه. لكن مَنْ يرى الأمور بعين موسى الذي رأى يهوه في عليقة مشتعلة بالنار، يدرك بحسِّه الروحي خطورة خدمة للرب بالارتباط بوسط لا يتفق مع قداسته، فهذا يحط من قداسة ومجد الله أمام أعين أهل العالم. فإن كنا نريد حقًا بركة للناس الذين ندعوهم فعلينا أن نحفظ أنفسنا في حالة الانفصال التي تكشف عن أننا ندعو باسم إله قدوس. حينئذ فمَنْ يقبل سيخرج إلى سيدنا الذي تألم خارج الباب مقدِّرًا قيمة موته وشاعرًا في ضميره بقداسته. أما إذا تهاونا في هذا الأمر، فحفِظْنا مقرَّنا في العالم، ودعوْنا هناك باسم الرب، ألا يجعل ذلك أهل العالم الذين ندعوهم يخلطون عبادة الله بعباداتهم الوثنية؟ وهكذا لا نكون قد أتينا بهم إلى الرب، ولا مجَّدنا إلهنا القدوس.

شعب مفدي

خرج الشعب المفدي بخروف الفصح، والذي فصل البحر الأحمر بينه وبين مصر، إلى البرية، وما أن استقرت الأمور بالنسبة له، ورتَّب له الله طعامه بالمن، وشرابه من الصخرة، حتى شرع الله في أن يجعل مسكنه في وسطهم.

إعطاء الناموس

لكن كان ينبغي أن يعرف الشعب أولاً قداسة الإله الذي سيسكن في وسطهم، لذلك أظهر الله لهم مستوى القداسة المطلوب من الشعب في الناموس (خر١٩). فإما أن يسلكوا بحسب الناموس، وإما أن يدينوا أنفسهم معترفين بعدم أهليتهم، وفي هذا تقدير لقداسة الساكن في وسطهم بالنعمة واعتراف بها، وهذا ما يريده الله من شعب يسكن في وسطه.

لكن الشعب اختار الناموس (خر١٩: ٨)، والله في نعمته أعطى الشعب الناموس لكي يكتشف فشله ويقبل نعمته. هذا من جهة، ولكن من الجهة الأخرى كان الناموس عهدًا بين الله والشعب، يرسم لهم طريق التقديس الذي يؤهلهم لأن يسكن بينهم، من خلال طقوس وفرائض وذبائح يمكن أن تقدسهم إلى طهارة الجسد.

ظل الناموس كعهد، مصحوبًا بفرائض الكهنوت التي تعالج فشل الشعب، مسوِّغًا لوجود الشعب بالجسد وفي وسطه مَسْكن رمزي لله، يضع اسمه فيه، كصورة رمزية تمهيدية للمسكن الحقيقي لله مع الإنسان، الذي كان في قصده منذ الأزل، ألا وهو الكنيسة.

مسكن بين الشعب

لم يكن الشعب في العهد القديم هو مسكن الله، لكنهم كانوا هم الناس الذين يسكن الله معهم، ذلك لأن الشعب لم يتقدس بذبائح حقيقية بل بذبائح رمزية، إن كانت تُقدِّس فهي تُقدِّس قداسة صورية جسدية. ولكن الله روح، ويلزم لمسكنه أن يكون مقدَّسًا قداسة حقيقية روحية. لذلك أعدَّ الله لنفسه مَقدسًا يسكن فيه وسط الشعب. ولكن من جهة أخرى فإنه كما قال سليمان عندما بنى الهيكل: "هَلْ يَسْكُنُ اللهُ حَقًّا مَعَ الإِنْسَانِ عَلَى الأَرْضِ؟... فَكَمْ بِالأَقَلِّ هذَا الْبَيْتُ الَّذِي بَنَيْتُ...

اسْمَعِ الصُّرَاخَ وَالصَّلاَةَ الَّتِي يُصَلِّيهَا عَبْدُكَ أَمَامَكَ، لِتَكُونَ عَيْنَاكَ مَفْتُوحَتَيْنِ عَلَى هذَا الْبَيْتِ نَهَارًا وَلَيْلاً، عَلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي قُلْتَ إِنَّكَ تَضَعُ اسْمَكَ فِيهِ" (٢أخ٦: ١٨-٢٠). وعن هذا يقول إستفانوس "لكِنَّ الْعَلِيَّ لاَ يَسْكُنُ فِي هَيَاكِلَ مَصْنُوعَاتِ الأَيَادِي، كَمَا يَقُولُ النَّبِيُّ: السَّمَاءُ كُرْسِيٌّ لِي، وَالأَرْضُ مَوْطِئٌ لِقَدَمَيَّ. أَيَّ بَيْتٍ تَبْنُونَ لِي؟ يَقُولُ الرَّبُّ، وَأَيٌّ هُوَ مَكَانُ رَاحَتِي" (أع٧: ٤٨ و٤٩). فسواء خيمة الاجتماع أو الهيكل في العهد القديم لم يكونا سوى مكان يضع الله اسمه فيه ولا يصلح مسكنًا حقيقيًا له.

بلعام والشعب

(اقرأ سفر العدد أصحاحات ٢٢-٢٤)

سار الشعب في البرية ومسكن الله في وسطهم، حتى أقبل إلى مشارف الأرض. وأزعج اقترابه بالاق ملك موآب، فاستأجر بلعام بن بعور العرَّاف ليلعن الشعب. وبالإيجاز وصل بلعام إلى الموضع الذي يرى منه الشعب، وهناك حاول استرضاء الله بالذبائح حتى يقبل أن يلعن الشعب، ولكن الله حول اللعنة إلى بركة ثلاث مرات. في المرة الأولى كشف عن أسباب عدم إمكانية إنزال لعنة من الله على الشعب، ذلك لأنه "شَعْبٌ يَسْكُنُ وَحْدَهُ، وَبَيْنَ الشُّعُوبِ لاَ يُحْسَبُ" (عد٢٣: ٩). وفي المرة الثالثة بلغ إلى قمة البركة حين رأى الشعب حالاً حسب الترتيب الذي رسمه له الله (عد٢٤: ٢) إذ رأى ثلاثة أسباط إلى الشرق من خيمة الاجتماع، وثلاثة إلى الشمال، وثلاثة إلى الغرب، والثلاثة الأخيرة إلى الجنوب، ومقدس الرب في وسطهم، فقال "مَا أَحْسَنَ خِيَامَكَ يَا يَعْقُوبُ، مَسَاكِنَكَ يَا إِسْرَائِيلُ! كَأَوْدِيَةٍ مُمْتَدَّةٍ. كَجَنَّاتٍ عَلَى نَهْرٍ، كَشَجَرَاتِ عُودٍ غَرَسَهَا الرَّبُّ. كَأَرْزَاتٍ عَلَى مِيَاهٍ. يَجْرِي مَاءٌ مِنْ دِلاَئِهِ، وَيَكُونُ زَرْعُهُ

عَلَى مِيَاهٍ غَزِيرَةٍ، وَيَتَسَامَى مَلِكُهُ عَلَى أَجَاجَ وَتَرْتَفِعُ مَمْلَكَتُهُ" (عد٢٤: ٥-٧). إن انفصال إسرائيل عن الشعوب الأخرى هو ما أهَّله لسكنى الله في وسطه، ووجوده في الوسط جعل لخيامه هذا المجد.

الكنيسة المسكن الحقيقي

لكن كل هذا كان تمهيدًا بالرموز للمسكن الحقيقي وهو الكنيسة. هذا المسكن يصفه الرسول بولس في الرسالة إلى القديسين في أفسس بالقول: "الَّذِي فِيهِ أَنْتُمْ أَيْضًا مَبْنِيُّونَ مَعًا، مَسْكَنًا ِللهِ فِي الرُّوحِ" (أف٢: ٢٢). كما يضيف في الرسالة إلى العبرانيين بالقول "بَيْتُهُ نَحْنُ" (عب٣: ٦). ويقول بطرس لنا: "الَّذِي إِذْ تَأْتُونَ إِلَيْهِ (أي إلى المسيح)، حَجَرًا حَيًّا مَرْفُوضًا مِنَ النَّاسِ، وَلكِنْ مُخْتَارٌ مِنَ اللهِ كَرِيمٌ، كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضًا مَبْنِيِّينَ - كَحِجَارَةٍ حَيَّةٍ - بَيْتًا رُوحِيًّا، كَهَنُوتًا مُقَدَّسًا، لِتَقْدِيمِ ذَبَائِحَ رُوحِيَّةٍ مَقْبُولَةٍ عِنْدَ اللهِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ" (١بط٢: ٤، ٥).

هذا يُبيِّن أن مسؤوليتنا في مراعاة قداسة الله أعظم بما لا يقاس مما كان على الشعب في القديم. فهم كانوا شعبًا يسكن الله في وسطه، أما نحن فإننا مسكن الله ذاته. وقد كانت سُكنى الله بينهم سُكنى رمزية، فقد وضع اسمه فقط في ذلك المسكن، لأنه لا يسكن في هياكل صنعة أيدي الناس، أما الكنيسة فهي تنتسب إلى الخليقة الجديدة، وليست من هذه الخليقة. وباني الكنيسة هو المسيح نفسه ابن الله الحي المقام من الأموات (مت١٦: ١٨)، وهو يبنيها بحجارة حية، هم المؤمنون أنفسهم. هي الكنيسة التي أحبها المسيح "وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِهَا، لِكَيْ يُقَدِّسَهَا، مُطَهِّرًا إِيَّاهَا بِغَسْلِ الْمَاءِ بِالْكَلِمَةِ، لِكَيْ

يُحْضِرَهَا لِنَفْسِهِ كَنِيسَةً مَجِيدَةً، لاَ دَنَسَ فِيهَا وَلاَ غَضْنَ أَوْ شَيْءٌ مِنْ مِثْلِ ذَلِكَ، بَلْ تَكُونُ مُقَدَّسَةً وَبِلاَ عَيْبٍ" (أف٥: ٢٥-٢٧).

هذا هو البيت الذي يليق بالله. بيتٌ منفصل عن كل ما فيه خطية، وبيته نحن. لذلك فإن الله سيسكن في هذا البناء مع الناس طوال مدة ملك المسيح على الأرض (رؤ٢١: ٩-٢٧)، كما أنه في الحالة الأبدية ستكون الكنيسة مسكن الله مع الناس إلى أبد الآبدين (رؤ٢١: ١-٤).

هذه هي الكنيسة كما سيحضرها المسيح لنفسه مستقبلاً في ملكه وفي الحالة الأبدية، ولكن ماذا عن حالها الآن تحت المسؤولية؟

* * *

إليه خارج المحلة

ما هي المحلة؟

هل دائمًا تكون المحلة مكانًا رديئًا يلزمنا أن نخرج منه؟ وإن كانت الإجابة "لا" فمتى يكون مطلوبًا منا أن نخرج منها، ومتى يكون علينا أن نبقى فيها؟

إن المحلة هي المكان الذي فيه تحل قافلة الرُّحل. فالقافلة تسير في البرية، ولكن لا بد من وقفات لراحة المسافرين ودوابهم. كما أن المعتاد أن يكون سير القافلة نهارًا وعند الليل تتوقف القافلة وينصب أهلها الخيام ليبيتوا فيها، فيكون الموضع الذي حلوا فيه "محلة".

إذا رجعنا إلى أسفار الخروج واللاويين والعدد نجد خيمة الاجتماع التي فيها التابوت، رمز حضور الله بين شعبه، كان مكانها في وسط محلة الشعب في البرية أينما حلوا. وقد أمر الرب أن بني إسرائيل لا يقدمون ذبائحهم إلا على مذبح النحاس الذي في خيمة الاجتماع وسط المحلة. وعلى مدار السنة كانوا يقدمون على المذبح محرقات وذبائح للخطية، توقد أو تحرق أجسامها على المذبح وسط المحلة.

كانت محلة الشعب مقدسة، وكان عليهم أن يحفظوها هكذا، وأن يخرجوا منها كل نجس (عد٥: ١-٣)، وكان الرب حالاً في المحلة في عمود نار ليلاً وعمود سحاب نهارًا

لكن مع ذلك نجد أن هناك ذبيحة خطية سنوية تُقدَّم في يوم الكفارة تختلف عن كل ما عداها من الذبائح (لا ١٦)، فهي الذبيحة الوحيدة على مدى السنة التي يدخل رئيس الكهنة بدمها إلى قدس الأقداس، ولكن العجيب أنه بينما الدم يدخل إلى أقدس مكان، فإن كل جسم الذبيحة يحرق بنار خارج المحلة. ويوضح لنا الرسول في الرسالة إلى العبرانيين أن هذا رمزٌ إلى أن المسيح كان لا بد أن يتألم مرفوضًا من الأمة، فقد سيق كشاة إلى الذبح خارج مدينة أورشليم، إلى الجلجثة، مكان الرفض والعار والاحتقار، لكن موته هذا كان له أعظم تقدير وقبول لدى الله، لذلك أمكنه أن يدخل بدم نفسه إلى الأقداس، لا الأرضية الرمزية، بل السماوية الحقيقية، فيقبله الله مُكرِّمًا إياه لأجل عمله قائلاً: "اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئًا لِقَدَمَيْكَ" (عب٩: ١٢، ٢: ١٣).

كان في إمكان أي فرد من الشعب أن يُقدِّم المحرقات والذبائح طوال السنة على المذبح، ولكن مرة واحدة في السنة تُقدَّم هذه

الذبيحة، ليس عن شخص معين، بل عن الشعب كله، وتُحرَق خارج المحلة. من هنا نستخلص أن المحلة رمزٌ مزدوج، فهي تمثل الجماعة المجتمعة إلى اسم الرب، التي لها أن تُقدِّم السجود للآب بالمسيح، ولكن هذه المحلة كانت دائمًا عُرضة للفساد، وعندما تفسد يلزم الأمناء الخروج منها، والمثل الأعظم في ذلك هو الرب نفسه. لقد ولد تحت الناموس، فعاش تحت الناموس في المحلة، إلى أن رفضه شعبه رفضًا كاملاً إذ أخرجوه خارج المحلة وقتلوه معلقين إياه على خشبة (أع٥: ٣٠). ولكنه هناك خارج المحلة قدَّمه الله كفارة عن خطايا الشعب، فقد تألم خارج الباب كما كانت ذبيحة الخطية تحرق يوم الكفارة خارج المحلة.

أين ينبغي أن نوجد

ليس مطلوبًا من القديسين اليوم سوى أن يكونوا حيث سيدهم، فإن وعد أن يكون مكانه بين جماعة فعليَّ أن ارتبط بهذه الجماعة، وإن خرج هو من جماعة ما فعليَّ أن أخرج منها وراءه.

إذًا نعود لسؤالنا القديم «أين هو؟[1]». لقد رأينا أن الرب خرج من الوسط الديني الذي لا يقبله، والمُمَثَل في المجمع، مع أنه كان وسطًا مؤسسًا على ناموس الله ويمارس الطقوس والفرائض بتدقيق، ومع ذلك فقد ظل إلى ذلك الحين بين الشعب كأمة تنتظر المسيا، كما أنه من زاوية أخرى "كَانَ فِي الْعَالَمِ" (يو١: ١٠). هذا كان في أيام جسده، ولكن بعد موته لم يعد بين الشعب، ولا حتى في العالم، لأن العالم لم يعرفه، وخاصته لم تقبله. فأين أجده الآن؟

---

[1] راجع ص١١

لو بحثنا في كل أقوال الرب في الأناجيل أو في إعلانات العهد الجديد في الرسائل عن مكان للرب على الأرض في الوقت الحاضر فلن نجد سوى وعده الكريم في الأصحاح الثامن عشر من إنجيل متى والعدد العشرين، إذ قال بفمه الكريم: "حَيْثُمَا اجْتَمَعَ اثْنَانِ أَوْ ثَلاَثَةٌ بِاسْمِي فَهُنَاكَ أَكُونُ فِي وَسْطِهِمْ". هناك مواضع كثيرة في كتب العهد الجديد تكلم فيها الرب والرسل والأنبياء عن مكان وجود الرب في السماء، فهو عن يمين الله، جالس في عرشه، ولكن أن يكون له حضور على الأرض فلا نجده سوى بين مَنْ يجتمعون إلى اسمه المبارك فقط، حتى ولو كانوا اثنين أو ثلاثة لا أكثر. فإن كنت أريده بالحق فلن أجده إلا "حَيْثُمَا اجْتَمَعَ اثْنَانِ أَوْ ثَلاَثَةٌ بِاسْمِهِ"[1].

المحلة المسيحية

بديهي أن هذا مكان خارج محلة إسرائيل، ولكن الخطورة هي في أن نحاول أن نجمع بين محضره ووجودنا في وسط ديني لا يقبله كمركز اجتماع المؤمنين، حتى ولو كان هذا الوسط يضم قديسين أحباء إلينا. فالمحلة المسيحية أخذت ذات الموقف الذي كان للمحلة اليهودية قديمًا إزاء سيدنا المجيد، فنحّته جانبًا ووضعت رئاسات وقيادات كنسية محله. لذلك فإن نداء الروح القدس إلى العبرانيين قديمًا "فَلْنَخْرُجْ إِذًا إِلَيْهِ خَارِجَ الْمَحَلَّةِ حَامِلِينَ عَارَهُ" (عب١٣: ١٣) لا زال يدوي اليوم مناديًا للخروج إلى المسيح من المحلة المسيحية الممثلة في الطوائف التي تجعل لها رئاسات بشرية.

* * *

[1] أرجو أن يرجع القارئ إلى كتيب "العبادة وسلطان الرب في كنيسة الله" حيث يجد توضيحًا أظنه كافيًا كدراسة مبسطة لمعنى الاجتماع إلى اسم الرب، وإن أراد المزيد فليرجع إلى كتاب "كنيسة الله الحي" للكاتب ر. ك. كامبل أو إلى كتاب "كنيسة الله" للكاتب ج. و. هايكوب.

والآن لنفحص كلمة الله لنرى بعض ما فيها من صور تكشف لنا عن واجبنا إزاء حالة المسيحية اليوم...

* * *

داود ومـن معــه

اقــرأ ١صــم١٨: ١-٤ و١٩: ١-٧ و٢٠ :١-٤٢ و٢٢: ١، ٢ و٢٣: ١٥-١٨ و٣١: ١-٦

فـي العهد القديم صورٌ عديدة تُظهر مبدأ الانفصال كضرورة للوجـود فـي شركة صحيحة مع الرب، ومن أبرز هذه الصور ما نجده في حياة داود ومَنْ كانوا على علاقة به.

داود الممسوح ملكًا

مَرَّ داود بمرحلتين رئيسيتين منذ أن مسحه صموئيل للمُلك إلى نهاية حياته. المرحلة الأولى كان فيها مرفوضًا من المَلك الرسمي ومن عامة الشعب، ولم يعترف به ملكًا سوى أقلية ضعيفة، كانت المَسكنة هي العامل المشترك بينها. ونجد تاريخ هذه المرحلة في سفر صموئيل الأول من الأصحاح السادس عشر إلى نهاية السفر.

أما في المرحلة الثانية فقد كان داود مُعتَرفًا به بين الشعب ملكًا، ولم يعد شاول ولا نسله في موضع المنافسة له على هذا المركز، ولكن هذا لم يمنع طوال هذه الفترة أن يظهر بين الحين والآخر مَنْ

يريد أن يغتصب المُلك منه، ومَنْ يبغي النيل من مركزه المُعيَّن له من قبل الله. وسفر صموئيل الثاني يسجل تاريخ هذه المرحلة.

وقد تباينت مواقف الناس من جهة داود في كلتا المرحلتين، فإذا تتبعنا مواقف البارزين في حياة داود سنجد من أخلص له إخلاصًا لا نظير له، وعلى النقيض سنجد من خانه عندما حانت له الفرصة، وبين الإخلاص الأسمى والخيانة العظمى تفاوتت مواقف مَنْ كانوا على علاقة به.

داود رمز للرب يسوع

داود هو واحدٌ من أوضح الرموز الجميلة متعددة الجوانب للرب يسوع. ولسنا بصدد التأمل في الرموز النبوية في حياته مع جمالها، ولكن موضوعنا يرتبط بالأكثر بمركزه الرمزي للرب يسوع كمَنْ ينبغي أن يرتبط به المؤمنون وينفصلوا إليه عن كل ما لا يتفق مع الاعتراف به ربًا ومسيحًا، ورأسًا للكنيسة.

عندما رُفض داود من شاول وهرب إلى مغارة عدُلام، "اجْتَمَعَ إِلَيْهِ كُلُّ رَجُل مُتَضَايِق، وَكُلُّ مَنْ كَانَ عَلَيْهِ دَيْنٌ، وَكُلُّ رَجُل مُرِّ النَّفْسِ، فَكَانَ عَلَيْهِمْ رَئِيسًا" (١صم٢٢: ٢). هذا يذكرنا بقول الرب "حَيْثُمَا اجْتَمَعَ اثْنَانِ أَوْ ثَلاَثَةٌ بِاسْمِي (أو حسب الأصل: إلى اسمي) فَهُنَاكَ أَكُونُ فِي وَسْطِهِمْ" (مت١٨: ٢٠). لذلك فإن داود في هذا الموقف يشبه الرب يسوع في زماننا الحاضر، حيث يستطيع مَنْ يُقدِّرون داود الحقيقي ربنا يسوع أن يجتمعوا إليه.

والآن لنتأمل موقف بعض مَنْ اعترفوا بحقوق داود الملكية وبسلطانه عليهم وكانوا في علاقة معه من هذا الوقت فصاعدًا.

يوناثان الحلو

ما أروع يوناثان! وما أروع شهادة داود نفسه عنه وعن محبته إذ قال في رثائه له: "كُنْتَ حُلوًا لِي جِدًّا. مَحَبَّتُكَ لِي أعْجَبُ مِنْ مَحَبَّةِ النِّسَاءِ" (٢صم١: ٢٦). إن الفصول الخمسة الأولى من الستة فصول المذكورة في بداية هذا الفصل تكشف عن معدن أصيل ومحبة بإخلاص لداود عند يوناثان، بل وفهمًا صحيحًا لمركزه المُعيَّن له من الله. كما أنه قدَّم لداود خدمات عظيمة حين كان داود لا يزال في قصر شاول الملك.

كان يتوق لأن يرى داود ملكًا، ويُمني نفسه بأن يكون ثانيًا له، وظل على إخلاصه إلى النهاية، وحين واتته الفرصة لم يضيعها، بل ذهب للقاء داود في الغاب وشدد يده بالله، وجدد عهده معه.

مقارنة!

(اقرأ ١صم٢٢: ١، ٢ و٢صم٢٣: ٨-٣٩)

إذا قارنا محبة يوناثان لداود بمحبة بعض من التصقوا بداود وهو مُطارَد، فسنجد بعضًا منهم ربما رجحت كفة محبتهم عن محبة يوناثان، مثل الأبطال الثلاثة الأول من قائمة أبطال داود، فقد كان إشباع رغبة داود في أن يشرب ماءً من بئر بيت لحم أثمن عندهم من حياتهم، مع أن الماء متوافر من مصادر أخرى. وربما نجد مَنْ يعدل مع يوناثان قبَّ ميزان المحبة نحو داود، مثل أبيشاي بن صروية أخو يوآب، الذي خاطر بحياته من أجل حياة داود (٢صم٢١: ١٦). كما نجد بينهم مَنْ لا نستطيع أن نتبيَّن أن محبته تصل في قوتها إلى يوناثان، بل ونجد مَنْ لم يكونوا على قدر كامل من الإخلاص لداود، مثل يوآب الذي كان لا يعمل إلا لأجل ذاته حتى أنه قتل اثنين من خير القادة العسكريين في إسرائيل لكي لا

ينازعوه منصبه (٢صم٣: ٢٩ و٢٠: ٩) أو أبياثار الذي مال مع يوآب وراء أمنون ليملّكاه من بعد داود. بل أخيرًا نجد بينهم الخائن مثل أخيتوفل.

ولكن هؤلاء بكل هذا التفاوت في نوعية محبتهم لداود كان لهم امتياز مشترك لم يتمتع به يوناثان، وهو امتياز القرب والوجود دائمًا في محضر الملك الحقيقي. لقد اجتمعوا إلى داود في مغارة عدُلام، بالرغم من أنه كان مطاردًا من المَلك، مرفوضًا من عامة الشعب، الذي كثيرًا ما ظاهر شاول ضده، مثل أهل قعيلة الذين كانوا على استعداد لتسليمه إلى شاول بالرغم من المعروف الذي صنعه بهم، والزيفيون الذين صعدوا بالفعل إلى شاول ووشوا إليه بمكان اختباء داود (١صم ٢٣: ١٢، ١٩). وقد اعترف أولئك بداود رئيسًا عليهم، ورافقوه في محنته. صحيح أن بعض المحن التي مَرَّ بها كشفت حقيقة البعض مثل أخيتوفل، ولكن يبقى هناك اختلاف بين موقف هؤلاء طالما التصقوا بداود وموقف يوناثان.

النتائج

اختلفت نتيجة موقف كل إنسان من داود باختلاف موقفه منه. ولكن قبل أن نتأمل في ما أصاب كلاً منهم ينبغي أن ننوه إلى أن هذه النتائج لا علاقة لها بالحياة الأبدية، وإنما هي نتائج على الأرض. وهكذا تكون النتيجة لكل من يتبع خُطى أيٍّ منهم على الأرض، أما الأبدية فليست هي موضوع التطبيق على ما نتأمله الآن.

نهاية يوناثان

يوناثان الحلو المخلص الذي أحب داود كنفسه لم تتحقق أمانيه، لأنه لم يخرج من بيت أبيه المحكوم عليه، فمات تحت ذات القضاء

الذي لحق ببيت أبيه. وقد حزن داود حزنًا شديدًا – ونحن نحزن معه بلا شك - لأن يوناثان أُخذ بالضربة التي حكم بها الله على بيت شاول، مع أنه كان نوعية تختلف عن أبيه وإخوته كل الاختلاف. ولو أنه ترك بيت أبيه وانفصل إلى داود مع "كُلُّ رَجُل مُتَضَايق، وَكُلُّ مَنْ كَانَ عَلَيْهِ دَيْنٌ، وَكُلُّ رَجُل مُرِّ النَّفْس" لما كانت تلك النهاية، ولربما صار بالفعل ثانيًا لداود. لكن واحسرتاه على يوناثان! لقد مات بين الغُلف ولم يرَ داود ملكًا أبدًا.

كان يوناثان نافعًا لداود وهو في بيت شاول، لكن من اللحظة التي خرج فيها من بيت شاول مرفوضًا لم يعد يوناثان "إناءً نافعًا" لداود. أما الذين اجتمعوا إلى داود في مغارة عدُلام، فمع مسكنتهم الشديدة وخلوِّ أيديهم كانوا نافعين بالفعل لداود في زمان رفضه. والآن ربنا له المجد "خارج المحلة". ومَنْ يريد أن يكون نافعًا له عليه أن يخرج إليه. فالمشاعر الطيبة والمحبة القلبية للرب لها تقديرها بلا شك، ولكنها بدون الانفصال إلى الرب والوجود معه حيث هو في مكان رفضه يجعلها بلا نفع للسيد. لذلك يؤكد الرب في كلامه إلى تلاميذه قبل أن يمضي إلى الآب: "إنْ كَانَ أَحَدٌ يَخْدِمُنِي فَلْيَتْبَعْنِي، وَحَيْثُ أَكُونُ أَنَا هُنَاكَ أَيْضًا يَكُونُ خَادِمِي" (يو١٢: ٢٦). وأين نجده؟ فقط خارج المحلة .. حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة إلى اسمه.

وقد يعتبر البعض ما حدث ليوناثان بمثابة تأديب من الرب له، على أنني أعتقد أن الأمر ليس كذلك، وإنما هو النتيجة الحتمية لارتباط المؤمن بحالة أو نظام لا يعترف بحقوق الملك الحقيقي، لاسيما إذا علم أنه قد صدر حكم إلهي ضد هذا النظام. لقد زرع يوناثان، وكان زرعه أنه بقي في بيت أبيه ولم ينفصل إلى داود في

وقت رفضه، وكان لا بد له أن يحصد ما زرع، فلم ينفصل عن بيت أبيه في وقت القضاء.

الأبطال الثلاثة

في المقابل نجد أن الأبطال الثلاثة الذين أحبوا داود أكثر من أنفسهم كان لهم النصيب الأسمى، فقد وُضِعتْ أسماؤهم في صدارة قائمة الشرف لأبطال داود، ويُشار أكثر من مرة إلى تميُّزهم لأجل محبتهم الأولى. وقد اتبعوا داود في كل محنته، فكان لهم شرف أن يملكوا معه.

لقد عمل هؤلاء الثلاثة أعمالاً عظيمة، ولكن ليس لأجلها تميَّزوا عن الثلاثين الآخرين، وإنما لأجل تقديرهم لداود، والتصاقهم به، واستعدادهم لأن يعملوا مشيئته ولو كلفهم ذلك حياتهم.

أبياثار

(١مل٥:١-٧ و٢: ٢٦)

لجأ إلى داود بعدما قتل شاول كهنة الرب ونجا هو، وظل مُخْلصًا لداود طيلة أيام حياته. ولكن لما اقتربت نهاية داود، واختلت الأمور بين الشعب، واختلط الأمر عليهم فيمَنْ يكون الملك المُرتقب بعد أن يذهب داود، اختلت بكل أسف الأمور أمام عينيه هو أيضًا، فترك محبته الأولى، وظاهر أدونيا الملك الذي ظنه الأقوى، فكان أنه حرم نفسه من ثمار تعبه الأول، بل واستحق الموت لولا رصيده من التكريس السابق.

إنها نهاية محزنة لشخص كنا نتوقع منه الكثير في زمان حكم سليمان، لكن تخليه عن الالتصاق بداود أضاع كل فرصة للبركة

بالنسبة له. إنه بحسب تعبير الرب إلى ملاك كنيسة فيلادلفيا "لم يتمسك بما عنده"، فأخذ آخر إكليله.

هذه عينة من القديسين في وقتنا الحاضر، يتركون مركزهم في الانفصال إلى الرب، لأنه كثير ما يكون العيان أقوى من الإيمان عندنا. قد يكون السبب هو الملل من حياة الانفصال، أو التأثر بأفكار فلسفية تصور الانفصال إلى الرب أنه ضيق أفق، وأنه يحصر خدمتي ويضيِّق نطاقها، ولكن حسنًا أن تكون لي خدمة محدودة نافعة للسيد كما يحدد هو مجالها، من أن تكون لي خدمة واسعة النطاق وأنا لست في محضره، لأني عندئذ لن أكون "نَافِعًا لِلسَّيِّدِ" (٢تي٢: ٢١).

يوآب

صورة محزنة أخرى، ولكنها تختلف عن سابقتها. فقد كان يوآب منذ البداية يعمل كل شيء لأجل نفسه. كان يعترف بداود أنه الملك الحقيقي، ولم يحاول أن ينازعه هذا المركز كما حدث من أحد أبنائه، بل وقف في صفه بكل قوته، وقد كان منفصلاً إلى داود وملتصقًا به. ولكنه كان محصورًا في ذاته، تهمه أولاً قيمته ومكانته بين إخوته، حتى أنه قتل اثنين من خير القادة العسكريين في إسرائيل حتى لا ينازعوه منصبه (٢صم٣: ٢٧ و٢٠: ١٠). وماذا كانت النهاية؟ لقد قُتل بأمر الملك سليمان عند مذبح الرب (١مل٢: ٣٠-٣٤).

لقد كانت ليوآب بعض المواقف الحسنة التي لا ينبغي أن ننساها في سياق استعراضنا لمساوئه. فنذكر أنه حارب لأجل شعب الرب ومدن إلههم (٢صم١٠: ١٢). كما أنه حاول إثناء داود عن أن يعد الشعب، الأمر الذي جلب التأديب على الشعب كله (٢صم٢٤:٣،٤).

ولكن عندما كانت مصلحته الشخصية تتعارض مع مصلحة داود أو شعب الله كان يرجح الأولى. لذلك كان لا بد من تأديب قضائي لأجل أفعاله التي أضرَّت بمملكة داود وشعبه، لأن من انفصل إلى الملك ينبغي أن يحترم حضوره وينكر ذاته، الأمر الذي لم يراعِه يوآب.

إنه أمرٌ مخجل، ولكن ينبغي أن نعترف به، أن هذه النوعية من القديسين وجدت بين شعب الرب على مدى العصور، وكثيرًا ما وقعت الانشقاقات والانقسامات بسبب الرغبة الجسدية في أن أكون أنا أولاً بين الإخوة. لذلك نجد في كلام الرب نفسه وفي رسائل العهد الجديد التحذير تلو التحذير للقديسين ممَنْ يصنعونها، فمثلاً يقول الرسول بولس للقديسين في رومية: "وَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ تُلاَحِظُوا الَّذِينَ يَصْنَعُونَ الشِّقَاقَاتِ وَالْعَثَرَاتِ، خِلاَفًا لِلتَّعْلِيمِ الَّذِي تَعَلَّمْتُمُوهُ، وَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ. لأَنَّ مِثْلَ هؤُلاَءِ لاَ يَخْدِمُونَ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحَ بَلْ بُطُونَهُمْ. وَبِالْكَلاَمِ الطَّيِّبِ وَالأَقْوَالِ الْحَسَنَةِ يَخْدَعُونَ قُلُوبَ السُّلَمَاءِ" (رو١٦: ١٧، ١٨).

أخيتوفل

(٢صم١٥: ٣١ و١٥:١٦-٢١ و٢٣:١٧)

يا له من أمر مرعب! واحدٌ من الذين التصقوا بداود، وكانوا من المعتبرين بين أصحابه، يخونه بهذه الخيانة الكبرى طمعًا في منصب أو مركز أو مال. لقد كان من آكلي خبز داود، وتمتع بكل الامتيازات التي تمتع بها جميع أصحابه على اختلاف درجات محبتهم وإخلاصهم، تمامًا كما كان الحال بالنسبة ليهوذا الإسخريوطي وهو بين التلاميذ الاثني عشر، ولكنه خان سيده وسلمه إلى اليهود لأجل ثلاثين من الفضة.

لأجل ذلك كان لا بد من قضاء يختلف عن القضاء التأديبي الذي حلَّ على أبياثار أو يوآب. فيوآب قُتل قصاصًا لدم بريء، وبأمر من الملك سليمان. أما هذا فقد خنق نفسه ولم يسقط بيد إنسان، وهو ذات القضاء الذي وقع على يهوذا الإسخريوطي. إنه قضاء إلهي على مَنْ زج بنفسه بين زمرة المنفصلين إلى الرب، وهو بقلبه ضدًا للرب.

هل يمكن أن يوجد بين القديسين المجتمعين إلى اسم الرب خائن كأخيتوفل أو يهوذا؟ بكل رعدة أقول «نعم»، والتاريخ يشهد بأن هرطقات كثيرة خرج بها أناسٌ كانوا يومًا في زمرة العابدين. عن مثل هؤلاء كتب يوحنا الرسول في رسالته الأولى: "أَيُّهَا الأَوْلاَدُ هِيَ السَّاعَةُ الأَخِيرَةُ. وَكَمَا سَمِعْتُمْ أَنَّ ضِدَّ الْمَسِيحِ يَأْتِي، قَدْ صَارَ الآنَ أَضْدَادٌ لِلْمَسِيحِ كَثِيرُونَ. مِنْ هُنَا نَعْلَمُ أَنَّهَا السَّاعَةُ الأَخِيرَةُ. *مِنَّا خَرَجُوا*، لكِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مِنَّا، لأَنَّهُمْ لَوْ كَانُوا مِنَّا لَبَقُوا مَعَنَا. لكِنْ لِيُظْهَرُوا أَنَّهُمْ لَيْسُوا جَمِيعُهُمْ مِنَّا" (١يو٢: ١٨، ١٩). إنهم ليسوا أضدادًا للمسيحيين، ولا هم يهود يضطهدوننا، بل كانوا معنا يومًا، ولكن أنكروا رب المجد لما رأوا أن مصالحهم في خطر إن اتبعوه، أو أن مقاصدهم الذاتية لا يحققها اتباعه. هذا يجعلنا حريصين دائمًا، ملاحظين "لِئَلاَّ يَطْلُعَ أَصْلُ مَرَارَةٍ وَيَصْنَعَ انْزِعَاجًا، فَيَتَنَجَّسَ بِهِ كَثِيرُونَ" (عب١٢: ١٥).

الدروس المستفادة

هذه الصورة المتكاملة الرمزية في حياة داود، وإن لم تكن الوحيدة، لكنها صورة توضح لنا فكر الله من جهة الانفصال إلى الرب يسوع. والآن لنضع الحقيقة في مواجهة الصورة لنستخلص الدروس: فنستطيع أن نرى في المرحلة الأولى حين كان داود

مطاردًا صورة لموقف العالم المسيحي تجاه ربنا المعبود. فالشعب هو شعب الله، وداود هو الملك الممسوح من الله بعد أن ظهر فشل الملك الذي استحسنه الشعب لنفسه. والجميع كانوا يعلمون هذه الحقيقة، لكن كان العيان أقوى من الإيمان عندهم ففضلوا شاول، باستثناء جماعة صغيرة انفصلت إلى الملك وشاركته رفض الشعب له.

أما في المرحلة الثانية فنجد الشعب معترفًا بداود ملكًا، وليس هناك ملكٌ آخر أمام العيان. لكن هذا لم يمنع وجود محاولات لاغتصاب مركزه من أقرب الأقربين، ولا منع وجود التقصير، وعدم الولاء، بل والخيانة، ولكن الشعب جملة لا يزال يعترف به كالملك. وفي هذا صورة للرب يسوع بين الجماعة التي انفصلت إليه واعترفت به رأسًا ورئيسًا. وموقف كل مَنْ تعاملوا مع داود كالملك في هاتين المرحلتين يعكس نورًا يكشف عن مواقف متباينة للمسيحيين من جهة ربنا يسوع اليوم في زمان رفضه، وهو لم يرس بعد مُلك البر والسلام على الأرض. والآن لكل واحد منا أن يسأل نفسه: أين أنا من بين هذه العينات؟

لقد قصدت أن يأتي هذا الفصل قبل الفصول التالية التي سنتكلم فيها عن حكم كلمة الله على مَنْ يتهاونون في أمر الانفصال، حتى يتبيَّن لنا أن كوننا انفصلنا إلى الرب لا يجعلنا أفضل من غيرنا، فمَنْ لم ينفصلوا قد يكون بينهم "يوناثان بن شاول" بينما قد يكون بيننا "يوآب بن صروية"، بل وربما "أخيتوفل"، ولكن يبقى أن الرب له حضوره فقط بين من اجتمعوا إليه، وهذا ما يلقي علينا بمسؤولية خطيرة، ربما لا تكون على غيرنا.

* * *

إنــاءٌ نافـعٌ للســيد

تيموثاوس الثانية ٢: ١٥-٢١

فـي الفـصل الـسابق رأينـا يونـاثـان الـذي أحـب داود حبًـا عظيمًـا، لكن بسبب عدم انفصاله إلـى داود عن بيت أبيه لـم يعدْ نـافعًـا لـدواد الذي يعترف به ملكًا. هذا يقودنـا إلـى رسالة بولس الرسول الثانيـة إلى تيموثاوس، التـي هي من أهم أجزاء العهد الجديد التي تـتكلم عن وجوب انفصال القديسين عن كل مـا لا يتفق مـع التعليم الـصحيح. وفي الأصحاح الثاني نقرأ هذه الأقوال: "وَلَكِنْ فِـي بَيْـتٍ كَبِيرٍ لَيْسَ آنِيَـةٌ مِـنْ ذَهَـبٍ وَفِـضَّةٍ فَقَـطْ، بَـلْ مِـنْ خَـشَبٍ وَخَـزَفٍ أَيْـضاً، وَتِلْـكَ لِلْكَرَامَـةِ وَهَـذِهِ لِلْهَـوَانِ. فَـإِنْ طَـهَّرَ أَحَـدٌ نَفْسَهُ مِـنْ هَـذِهِ يَكُـونُ *إِنَـاءً لِلْكَرَامَـةِ، مُقَدَّسـاً، نَافِعـاً لِلسَّيِّدِ*، مُـسْتَعَدّاً لِكُـلِّ عَمَـلٍ صَـالِحٍ".(ع٢٠، ٢١).

الطهارة المطلوبة

يلفت النظر قول الرسول "إِنْ طَـهَّرَ أَحَدٌ نَفْسَهُ". هذا يدل علـى أن الرسول يُحذر تلميذه تيموثاوس من نجاسة قد تلصق بالخادم، وعليه أن يحفظ نفسه طـاهرًا منهـا. ويحـدِّد الرسول المغبوط مصدر هذه النجاسة، إنه الاختلاط مع "آنية الهوان".

الآنية وأنواعها

الإنــاء صـورة تعبيريـة تتكـرر فـي كلمـة الله كثيـرًا لتـدل علـى الإنسان، وبتحديد أكثـر علـى الخـدام الـذين يـستخدمهم الله. فكم نوعًـا من الآنية يـضعها الرسول أمامنـا فـي هذا الفصل الخطيـر؟ بـسرعة يمكننا أن نرد بأنها نوعان، آنية كرامـة وآنيـة هوان. ولكـن إذا دققنـا

النظر سنجد أن آنية الكرامة تنقسم بدورها إلى نوعين، فمنها آنية طهَّرتْ نفسها، وأخرى لم تتطهر، أي بقيت في حالة من النجاسة. واحسرتاه !! إناء للكرامة، من ذهب أو فضة، ولكنه غير نافع للسيد، لا يستطيع أن يستخدمه في الغرض الذي صاغه لأجله، لأنه لم يتطهَّرْ، والسيد لا يستخدم آنية مُنجسة.

خادم مُزكًّى

لنستعرض أقوال الرسول في هذا الفصل بتأنٍ لنتبين فكر الله وحكم كلمته في هذا الأمر. فهو أولاً يحض تيموثاوس أن يقيم نفسه "مُزَكًّى، عَامِلاً لاَ يُخْزَى" أي أن يكون تميُّزه واضحًا لا جدال عليه، ولكن كيف؟ يقول له الرسول إن الوسيلة لذلك هي أن يكون "مُفَصِّلاً كَلِمَةَ الحَقِّ بِالاسْتِقَامَةِ". فالتمسك بكلمة الله كلها وتقديمها صافية دون تجنيب أو إحجام عن حق فيها، حتى ولو كان السامعون لا يتقبلونه، وبلا إضافات من أقوال فلاسفة وأفكارهم، أو أي شيء دخيل عليها، وربطها بعضها ببعض في توافقها الطبيعي، هو ما يجعله خادمًا مزكًّى عند الله، والله لن يُخزي عاملاً كهذا أبدًا. قد لا يكون مُزكًّى عند الناس، بل بكل أسف حتى عند بعض القديسين، ولكن عين خادم الرب ينبغي أن تتثبت على الرب وليس على الناس، ولا يستبدل رضا الله عليه برضا الناس، مهما كانوا.

اجتناب الأقوال الدنسة

قد يتبادر للوهلة الأولى للقارئ أن الأقوال الدنسة التي يشير إليها الرسول هنا هي "كَلاَمُ السَّفَاهَةِ، وَالْهَزْلُ الَّتِي لاَ تَلِيقُ" (أف٥: ٤)، وتجنب مثل هذا الكلام أمر واجب على كل مسيحي، ولكن هل هذا ما يقصده فعلاً هنا؟ لنستكمل قراءة كلام الرسول: "لأَنَّهُمْ يَتَقَدَّمُونَ إِلَى أَكْثَرِ فُجُورٍ، وَكَلِمَتُهُمْ تَرْعَى كَآكِلَةٍ (أي كالغرغرينا التي

تمتد في عضو من الجسد، فيموت كل جزء تصل إليه). الَّذِينَ مِنْهُمْ هِيمِينَايُسُ وَفِيلِيتُسُ، اللَّذَانِ زَاغَا عَنِ الْحَقِّ، قَائِلَيْنِ: «إِنَّ الْقِيَامَةَ قَدْ صَارَتْ» فَيَقْلِبَانِ إِيمَانَ قَوْمٍ". هذا معناه أن الأقوال الدنسة التي يحذر الرسول تيموثاوس منها هي تعاليم فاسدة وليس كلام الهزل. أي أن النجاسة هنا هي نجاسة التعليم.

ثم يتقدم الرسول في توضيح واجب القديس الذي يريد أن يحفظ نفسه طاهرًا من هذه النجاسة الخطيرة، فالمسيحية قد صارت كبيت كبير، فيه آنية من كل صنف، فمنها ما هو للكرامة، وما هو للهوان، ولكن "إِنْ طَهَّرَ أَحَدٌ نَفْسَهُ مِنْ هذِهِ (آنية الهوان)، يَكُونُ إِنَاءً لِلْكَرَامَةِ، مُقَدَّسًا، نَافِعًا لِلسَّيِّدِ، مُسْتَعَدًّا لِكُلِّ عَمَل صَالِحٍ".

هل يمكن أن يحدث أن إناءً للكرامة، صنعه السيد من ذهب أو فضة، ليستخدمه الاستخدام الذي بحسب فكره، يكون إناءً نجسًا، غير نافع للسيد؟ برعدة شديدة أقول: نعم، هكذا تقول كلمة الله، وهذا ما نراه بالفعل، ويلحظه كل من طبَّق كلمة الله على نفسه أولاً، ثم على الحالة الحاضرة للكنيسة ثانيًا.

ما الذي جعل هذا الإناء غير نافع للسيد؟ لأنه لم يُطهِّر نفسه بالانفصال عن آنية الهوان[1]، فتنجس، فلم يعد نافعًا للسيد القدوس. سيظل هو إناءً للكرامة، ولكنه لا يصلح لاستخدام السيد طالمًا ظل محتفظًا بموقعه بين آنية الهوان، ولم يتطهَّر بالانفصال عنها. فآنية الهوان لها استخدامها الذي يتفق مع نوعيتها[2]، لكنها لا تصلح "لِكُلِّ

---

[1] راجع هذا الفصل من الترجمة التفسيرية (كتاب الحياة)، حيث ستجد أن المقصود بهذا التطهر الانفصال عن آنية الهوان.

[2] أرجو أن تبقى معي أيها القارئ العزيز حتى تصل إلى فصل "حوارات حول الانفصال" حيث ستجد إيضاحات ربما ردت على تساؤلات تتردد في قلبك.

عَمَل صَالِحٍ". كما أن لها مكانها الطبيعي الذي يناسبها، ولكنه مكان لا ينبغي أن يوجد فيه إناءٌ للكرامة.

لاحظ أيها القارئ العزيز أن الموضوع هنا ليس مؤمن أم غير مؤمن، بل سالك بحسب تعليم كلمة الله أم لا. فهيمينايس وفيليتس كانا في الكنيسة، ولكن تعليمهما الفاسد يقلب إيمان مَنْ تبعوهم. وهل مَنْ تبعوهم كانوا مؤمنين أم لا؟ بكل أسف كانوا مؤمنين، وإلا لما كانت هناك خطورة من تعليم كهذا يقلب إيمانهم. لذلك فواجب تيموثاوس، وكل مَنْ في محله اليوم، أن يتجنب هؤلاء ليحفظ نفسه طاهرًا حتى يظل "إِنَاءً لِلْكَرَامَةِ، مُقَدَّسًا، نَافِعًا لِلسَّيِّدِ، مُسْتَعَدًّا لِكُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ". فقد يكون بين الطوائف مؤمنون حقيقيون لا نشك في إيمانهم، ولكن عندهم تعاليم تناقض كلمة الله، ويكفي أن يكون تعليمهم يناقض مبدأ الانفصال إلى الرب، ورئاسته للكنيسة الواحدة، ووجوب اجتماع المؤمنين إليه وحده، حتى لا أشترك معهم لا في عبادة ولا خدمة ولا أي عمل روحي.

لا تتعجل...

ربما علا صراخ داخل قلب القارئ العزيز، ولكن أرجو منه أن يتمهل، ليعرف ما الذي أعنيه بهذا. فبعض مَنْ سمع مثل هذا القول ظن أن المقصود هو مقاطعة القديسين في الطوائف، واعتبارهم أعداء، وأن لا نقبلهم في بيوتنا، ولا نقول لهم سلام. لكن هذا ليس هو تعليم كلمة الله، ولا هذا ما أقوله. فالانفصال الذي يتكلم عنه هذا الفصل يختلف تمامًا عما يتكلم عنه الرسول يوحنا في رسالته الأولى بشأن كيفية التعامل مع مَنْ عندهم تعليم ضد المسيح. أما من جهة أحبائنا القديسين في الطوائف التي ترفض مبدأ الانفصال إلى الرب فهم إخوة لنا، ومَنْ يحب الوالد يحب المولود منه.

لكن رابطة المحبة التي ينبغي أن تربط كل أولاد الله لا تعني الاختلاط بهم في عبادة أو خدمة لا تتفق مع تعليم الكلمة. فنحن واجب علينا أن نهتم بإخوتنا وأحوالهم ونسأل عنهم لأننا نحبهم، ونرحب بسؤالهم عنا، لأننا نعلم محبتهم نحونا. وفي كل فرصة نشاركهم أفراحهم أو أتراحهم. أما عندما يتصل الأمر بالعبادة والخدمة، فلا مجال للشركة، لأنها تعطي مصادقة من جانبي على تعليمهم المناقض لكلمة الله. أما ما كتب عنه الرسول يوحنا فهو فقط إذا كان التعليم الذي يأتي به هؤلاء الذين "مِنَّا خَرَجُوا" ينقض حقًا جوهريًا يرتبط بشخص المسيح، كإنكار لاهوته أو إنكار حقيقة ناسوته، أو الطعن في كمال إنسانيته، أو عمله الكفاري وما شابه ذلك من تعاليم، كالتي عند شهود يهوه والسبتيين.

* * *

الخمير والنجاسة

قول الرسول بولس الذي تأملناه في الفصل السابق عن الإناء الذي "يُطهِّر نفسه" يدفعنا لأن نبحث عن مصادر النجاسة، وكيف نتجنبها.

أثر الخمير

يتصف الخمير في عمله بعدة خصائص جعلت منه صورة متطابقة مع عمل الشر بين المؤمنين، فهو أولاً: سريع الانتشار والتأثير على العجين، فعندما نضع قطعة صغيرة منه في العجين

الجديد يبدأ عمله بلا ضوضاء أو علامات ظاهرة لتأثيره على العجين. ولا يتوقف عمل الخمير إلا بأن يدخل العجين في النار ويُخبز.

وإذا أردنا حفظ العجين في حالته وهو جديد فعلينا أن نجنبه الخمير تمامًا. ولو أن أحدًا وضع خميرة صغيرة في هذا العجين، عمدًا ليفسده، أو ربما بطريق الخطأ، فإننا نستطيع لو تنبهنا إلى ذلك أن ننزع الخمير بسرعة وبلا إبطاء من العجين، فنفصل الجزء الذي وُضِع فيه الخمير وتأثر به عن باقي الكتلة، فلا يبقى فيها خمير.

ولكن ماذا لو أننا تأخرنا في نزع الخمير؟ سينتشر ويُخمِّر العجين كله، ولن نتمكن من تنقيته من العجين، وتفيح منه رائحة كريهة. وحتى إذا أدخلناه في النار بعد ذلك فلن يصلح طعامًا. لقد اختمر الجميع، ولكي يكون لدينا فطير يلزمنا قطعة جديدة تمامًا من العجين الجديد، لا نخلطها بأي نسبة بالعجين الذي اختمر.

هذه هي صورة الشر في تأثيره المفسد، لاسيما بين كنيسة الله. فالخمير من السهل جدًا أن يُخبَّأ في العجين. ولكن المطلوب من القديسين أن يحفظوا كنيسة الله عجينًا جديدًا (١كو٥: ٧). لأجل ذلك فإن اليقظة مطلوبة لملاحظة وجود أي خمير بين جماعة الرب، وعزل الخمير هو واجبٌ مستمر للكنيسة المجتمعة إلى اسمه، والتهاون فيه يفسد الحالة الأدبية لها، وهذا أمرٌ خطير، لأن الرب حينئذ سيتدخل لوقف عمل الشر المفسد بالنار، فليس سواها علاجًا للحالة حينئذ. أما إذا لم نتجاوب مع معاملات الرب التأديبية بيننا، فسيفسد العجين إلى درجة لا تصلح حتى النار في علاجها، وعندئذ لا مفر من أن تُطرح خارجًا، فيزحزح الرب المنارة من مكانها (رؤ٢: ٥).

أنواع الخمير

صنَّف الرب يسوع الخمير ثلاثة أنواع، هي: "خمير الفريسيين"، و"خمير الصدوقيين"، و"خمير هيرودس". (مت١٦: ٦، مر٨: ١٦، لو١٢: ١). أما التلاميذ فلم يفهموا ما قصده الرب بالخمير، وظنوه يقصد خمير الخبز، وقد نجد لهم عذرًا كيهود، لكن الرب وبَّخهم لأنهم لم يفهموا فكره بالرغم من تعليمه لهم حوالي ثلاث سنوات، وأوضح لهم أنه يقصد شر الفريسيين والصدوقيين وهيرودس.

بسهولة، وقد عرف التلاميذ أن الخمير يقصد به الشر، فهموا ما هو خمير الصدوقيين، فقد كان عندهم شر تعليمي وفكر فلسفي مناقض لأقوال الله، يحاولون نشره والتأثير على أفكار الشعب به، فينحرف عن المكتوب. كذلك كانوا يعرفون ما هو الشر الذي تمثل بصورة واضحة في هيرودس، الذي كان لا يعتبر سوى شهواته، حتى أنه أفسد العلاقة المقدسة بين أخيه وزوجته، لكي يأخذها لنفسه، ووضع يوحنا في السجن لأنه كان يوبِّخه على شره الأدبي. وقصة قتله للمعمدان تكشف لنا عن نمط حياته المنغمسة في الفسق والفجور (مت١٤: ٣-١٢).

لكن التلاميذ كانوا يحتاجون أن يكشف لهم الرب عن صنف خمير الفريسيين، فهو قد يبدو للكثيرين صورة من التقوى، ولكن الرب يكشف أنه "رياء". فهم يظهرون للناس كأنهم الأفضل، مع أن قلوبهم مملوءة بالشر الخفي. كان شر الصدوقيين مُعلنًا، ولكنه يبدو كأنه نوعٌ من الاستنارة الذهنية والعلم، ولكن مَنْ عنده كلمة الله يُميِّز أنه الظلمة عينها. وشر هيرودس لا تخطئه العين، فهو فجور علني يدينه حتى الوثنيون. أما رياء الفريسيين فقد كان مستترًا تحت رداء

التدين، فلا يُميِّز خراب حالتهم إلا مَنْ عنده البصيرة والفهم الروحي لفكر الله.

النجاسة

بينما حدَّد الرب في العهد الجديد أنواع الخمير، نجد أن الناموس وصف أنواع النجاسة وميَّز بينها بوضوح. ومن بين أنواع النجاسة حدَّد ثلاثة أنواع تستوجب العزل من المحلة، هي حسبما أمر الرب موسى في مطلع الأصحاح الخامس من سفر العدد "كُلَّ أَبْرَصَ، وَكُلَّ ذِي سَيْل، وَكُلَّ مُتَنَجِّسٍ لِمَيْتٍ". فهل ثمَّة علاقة بين الخمير كما صنَّفه الرب يسوع والنجاسة كما صنَّفها ناموس موسى؟

إن النجاسة في عهد الناموس والخمير يشتركان في صفات جعلتهما صورة للشر في تأثيره المفسد الضار، وسرعة انتشاره. ولنفحص صور النجاسة في الناموس ونقارنها بوصف الرب للخمير.

الأبرص

البرص مرض جلدي معروف يتسبب في تآكل طبقات الجلد. وهو مرض مُعد سريع الانتقال من المريض إلى الشخص السليم. ولما تبدأ الأعراض في الظهور كما يصفها سفر اللاويين تبدو وكأنها مظهر حسن، فقد يبدأ بظهور شعر أبيض، وهذا يشير إلى البر الذاتي الظاهر أمام الناس. ومع تطوره وتآكل طبقات الجلد يظهر اللحم الحي، وهذا يظهر كما لو أن هناك حياة مُتميِّزة لهذا الشخص، ولكن حُكم الله إنها نجاسة، وهي بالفعل بداية لمرض البرص الخطير الذي إذا تمكَّن من صاحبه ينتهي بموته. صحيح أن هناك احتمال للشفاء إذا سمح الله في نعمته بأن لا يمتد المرض إلى أعضاء الجسم الداخلية، وإنما استمر يأكل الجلد السطحي حتى

يقضي على كل طبقة الجلد، وعندئذ لا يجد المرض ما يأكله أيضًا، فيموت الميكروب وهكذا يبرأ المريض.

ألا نلاحظ التطابق بين هذه الصورة و"خمير الفريسيين"؟ فهذا مرض للموت، ولكنه للعين المجردة يبدو مظهرًا حسنًا. ولكن متى قرض المرض كل ما يمكن أن يفتخر به الإنسان، وضاع ما كان يستتر به كما غطى البرص جسم الأبرص كله، شُفي المريض.

إن الرياء مرض سريع الانتشار، فالافتخار يثير الغيرة عند الآخرين، ويحثهم على اتّباع ذات الطريق، لذلك يُحرِّض الرب تلاميذه وإيانا على أن نتحرز منه.

ذو السيل

مرض يدل على وجود شر أدبي ونجاسة عملية، ويكفي أن نعرف أن ذو السيل لا يتحكم في نفسه، فشهواته تقوده. هذا في تمام التطابق مع خمير هيرودس، فسيل نجاسته لم يردعه توبيخ المعمدان، بل زاد على ذلك أن وضعه في السجن، ثم لأجل مَنْ سَرَّتْ شهوته قطع رأسه (مت١٤: ٣-١٢).

المتنجس لميت

قصدت أن أؤخر الحديث عن المتنجس لميت إلى ما بعد ذي السيل، مع أنه يُذكر في الأصحاح الخامس من سفر العدد قبله، وذلك حتى تكون لنا وقفة أطول مع هذا النوع من النجاسة لارتباطه بموضوعنا. لذا دعونا نفرد لهذا الموضوع فصلاً خاصًا...

* * *

البقـرة الحمـراء

(عد ١٩)

إن كـان البـرص يقابـل خميـر الفريسيين، وذو الـسيل يقابـل مـن تنجس بخمير هيرودس، فلنا أن نتوقع أن يكون التنجس لميت يقابل التـنجس بخميـر الـصدوقيين، الـذي هـو التعلـيم الفاسـد، وهـذا مـا سنستوضحه من فحص المكتوب.

في الأصحاح التاسع عشر من سفر العدد وضع الرب للشعب شريعة البقرة الحمراء، ليكون عندهم ما يمكن به معالجـة حـالات التنجس لميت أولاً بأول، فيكون عندهم ماء النجاسة محفوظًا ليتطهر به من تنجس لميت.

خطورة التنجس لميت

تنحـصر نجاسـة الأبـرص وذو الـسيل فـيمَنْ أصـيب بهـذين المرضين، وما على الطاهر سوى أن يتجنب التلامس معهما حتى لا تنتقل العدوى إليـه. أمـا المتنجس لميت فـالأمر يختلـف معـه، ولنقرأ الفقـرة الثانيـة مـن أصـحاحنا لنتعـرف علـى تـأثير هـذا النـوع مـن النجاسة.

"مَنْ مَسَّ مَيْتًا مَيْتَةَ إِنْسَانٍ مَا، يَكُونُ نَجِسًا سَبْعَةَ أَيَّامٍ. يَتَطَهَّرُ بِـهِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ، وَفِي الْيَوْمِ السَّابعِ يَكُونُ طاهِرًا. وَإِنْ لَـمْ يَتَطَهَّرْ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ فَفِي الْيَوْمِ السَّابعِ لاَ يَكُونُ طاهِرًا. كُلُّ مَنْ مَسَّ مَيْتًا مَيْتَـةَ إِنْسَانٍ قَدْ مَاتَ وَلَمْ يَتَطَهَّرْ، **يُنَجِّسُ مَسْكَنَ الرَّبِّ**. فَتُقْطَعُ تِلْكَ النَّفْسُ مِنْ إِسْرَائِيلَ. لأَنَّ مَاءَ النَّجَاسَةِ لَمْ يُرَشَّ عَلَيْهَا تَكُونُ نَجِسَةً. نَجَاسَتُهَا لَمْ تَزَلْ فِيهَا" (ع١١-١٣).

هذا يكشف عن خطورة التنجس لميت بالمقارنة بنوعي النجاسة اللذين تكلمنا عنهما آنفًا، ويدل على تأثير هذا النوع من النجاسة على الجماعة، فهنا أمر خطير لا نقرأ مثيلاً له في حالتي الأبرص وذي السيل، اللذين ينجسان محلاتهما فقط (عد٥: ٣) أما المتنجس لميت فعلاوة على ذلك "يُنَجِّسُ مَسْكَنَ الرَّبِّ". هذا تعبيرٌ خطيرٌ حقًا، ويضعنا أمام مسؤولية على ذات القدر من الخطورة. كذلك نفهم أن هناك مسؤولية على الجماعة في علاج هذه الحالة. أما بالنسبة للأبرص أو ذي السيل، فمسؤولية الجماعة تنحصر في عزله، وليس علاجه، بل تنتظر العلاج من الرب فقط.

كما أن الأبرص أو ذا السيل يُعزل فقط خارج المحلة، ولا تعمل الجماعة أمرًا من جهة تطهيره حتى يتداخل الله في نعمته ويشفيه من مرضه. ولكن لا تُقطع نفسه من شعبه إذا لم يتطهر. أما من تنجس لميت، ولم يخضع لعملية التطير من جانب الطاهرين "تُقْطَعُ تِلْكَ النَّفْسُ مِنْ إِسْرَائِيلَ". ألا يدفعنا هذا إلى أن نكون أكثر حذرًا؟

كذلك نقرأ "«هذِهِ هِيَ الشَّرِيعَةُ: إِذَا مَاتَ إِنْسَانٌ فِي خَيْمَةٍ، فَكُلُّ مَنْ دَخَلَ الْخَيْمَةَ، وَكُلُّ مَنْ كَانَ فِي الْخَيْمَةِ يَكُونُ نَجِسًا سَبْعَةَ أَيَّامٍ. وَكُلُّ إِنَاءٍ مَفْتُوحٍ لَيْسَ عَلَيْهِ سِدَادٌ بِعِصَابَةٍ فَإِنَّهُ نَجِسٌ" (ع١٤، ١٥). فنلاحظ أنه بينما تنتقل نجاسة الأبرص وذي السيل إلى الطاهر بالتلامس فقط، نجد في حالة التنجس لميت أنه يكفي أن يوجد الميت في الخيمة التي أنا فيها، أو أن أدخل إلى خيمة فيها ميت لأتنجس به، حتى دون ملامسته. بل إن وجود الميت في الخيمة يجعله مصدر نجاسة لكل مَنْ فيها وما فيها، عدا الإناء الذي تكون عليه "سِدَادٌ بِعِصَابَةٍ" فقط هو ما يبقى طاهرًا، إذن هي نجاسة تنتقل عبر

الأثير. ولكن إن وجد الميت على وجه الصحراء، وليس في خيمة، فلا يتنجس به الطاهر إلا بالملامسة.

ما المشكلة في الميت؟

إن الموت الذي هو نتيجة لدخول الخطية ووجودها في العالم هو نجاسة بالنسبة لله، ولكن لا سبيل إلى تطهير الميت، فهو سيظل إلى الأبد نجسًا، ولكن المشكلة تظهر عندما يتلامس الحي مع الميت أو يوجد في مجال تأثير نجاسته. ولا سبيل إلى التحفظ من هذا النوع من النجاسة سوى بالانفصال عن الموتى، والتحفظ من جهة مَنْ تنجس بهم.

المعاني الرمزية[1]

قد يظن القارئ لبُرهة أننا أمام طلاسم. عما تتكلم الخيمة؟ ولماذا يتنجس الطاهر بالميت في الخيمة لمجرد وجوده فيها، دون أن يلمسه؟ ولماذا يتنجس كل ما في الخيمة عدا الإناء الذي عليه سداد بعصابة؟ ولم العصابة؟ ألا تكفي السداد؟ ثم إذا وجد ميت على وجه الصحراء، ووقفت قبل أن أتلامس معه على بعد سنتيمترات قليلة لا أتنجس، ولكن في الخيمة وأنا على بعد ربما أمتار منه أتنجس دون أن ألمسه؟ هل من معنى لكل هذا؟

بكل تأكيد ليس في كلمة الله شيءٌ بلا معنى، وقد رأينا أن البرص والسيلان يقابلان خمير الفريسيين وخمير هيرودس، فهل

---

[1] قبل الدخول في التطبيق التعليمي لهذا الرمز أود أن أؤكد للقارئ أنه ليس التطبيق الوحيد لهذا الفصل، فكلمة الله حية، والفصل الواحد قد تكون له تطبيقات عدة، ولكنني أكتب عن التطبيق الذي يرتبط بموضوعنا. إلا أنه في الحقيقة هذا هو التطبيق الوحيد الذي سمعته أو قرأته حتى الآن الذي يجعل لكل كلمة في هذا الفصل معناها.

هناك تطابق بين التنجس لميت وخمير الصدوقيين، الذي هو فساد التعليم؟

إن القارئ المدقق لكلمة الله لا يجد صعوبة في ملاحظة هذا التطابق. فالفساد التعليمي يؤثر على الجماعة ولا يقتصر تأثيره على الفرد، فإن وجد شر أدبي فهو ينجس من يسقطون فيه فقط، أما الشر التعليمي فينجس الجماعة كلها، التي هي "مَسْكَنَ الرَّبِّ". والشرور التعليمية، المُعبَّر عنها بالموت، منتشرة حولنا في الدوائر المسيحية عامة، والمُعبَّر عنها بالصحراء. أما الحي فهو الشخص المسيحي الحقيقي، ولكنه عُرضة لأن يتنجس بما حولنا من أفكار تعليمية مناقضة للمكتوب.

أ ليست هذه ذات الصورة التي رأيناها في رسالة تيموثاوس الثانية؟ إن الارتباط بمَنْ عندهم خمير التعليم هو نجاسة تجعل الخادم غير نافع للسيد.

الخيمة

الخيمة صورة رمزية واضحة في العهد القديم للكنيسة المحلية في تدبير النعمة. فإذا وجد "الميت" الذي هو التعليم الفاسد في "الخيمة" التي هي الكنيسة المحلية، فإن أثره يمتد إلى كل مَنْ في الخيمة، لا إلى مَنْ يُعلّمون به فقط، لذلك فإن الميت في الخيمة ينجس كل ما فيها، عدا شيئًا واحدًا لا يتنجس، وهو الإناء الذي عليه سداد بعصابة، أما "كُلُّ إِنَاءٍ مَفْتُوحٍ لَيْسَ عَلَيْهِ سِدَادٌ بِعِصَابَةٍ فَإِنَّهُ نَجِسٌ".

ينبغي أن نتوقف أمام هذه الكلمات الخطيرة، لاسيما في هذه الأيام التي تأثرنا فيها بالانفتاح العالمي، فواكبناه بكل أسف في كنيسة الله. ومَنْ تمسك بالحق نُعت بأنه "منغلق". إن السداد تفصل

مـا بـداخل الإنـاء عمـا هـو خـارجـه فـصلاً تامًـا، حتـى الهـواء، فهـي رفض لكل ما هو فيه رائحة الموت. أما العصابة فهي كلمة الله التـي أوصـانا أن نجعلهـا "عَـصَائِبَ" بـين عيوننـا (تـث٦: ٨). فكـل مَـنْ رفض التعليم الفاسد، ليس لمجرد أنه فكر جديد لا يتوافق مع ميوله، بل لأنه يخالف كلمة الله، لا يتنجس. ولكن ما أخطر يا أخـي الحبيب أن تكـون "إِنَـاءً مَفْتُوحًـا لَـيْسَ عَلَيْـهِ سِدَادٌ بِعِصَابَةٍ". هـذا عنـد العـالم يُسمَّى انفتاحًا ورُقيًا فكريًا، ولكن عند الرب هو مصدر لكل نجاسـة فكرية،وروحية. فأنت لن تستطيع أن تمنع واحدًا فـي الخيمـة مـن أن يموتَ، فلن تتوقف الشرور التعليمية من مهاجمـة كنيسة الله، ولكنـك تستطيع أن تتحصن بـالمكتوب، فـلا تكـون محمـولاً بكـل ريـح تعليم كالأطفال (أف٤: ١٤).

ماء النجاسة

يقول رجال الله الذين يقرأون المكتوب من أصوله بلغاتـه التـي كتب بها إن تعبيـر "مَـاءُ النَّجَاسَـةِ" هـو حسب الأصـل العبـري يعنـي "ماء الانفصال"[1]. هذا يُبيِّن لنا أن الغرض من هذه الشريعة عـلاج النجاسة الناتجة عن الاختلاط بمَنْ لا ينفصلون إلى الرب.

ميت على وجه الصحراء

إن التعـاليم الفاسدة منتشرة حولنـا، فـإن تقبلناهـا فكريًـا فنحـن قد تلامسنا مع الميت الذي على وجه الصحراء وتنجسنا، ويحتاج الأمر لعلاج لمحو هذه الأفكار باستخدام كلمـة الله. ولكـن لـيس الاسـتخدام الـدارج، ولا غسل الأرجل. فمـاء النجاسـة لـيس مجـرد مـاء، بـل قـد

---

[1] "Water of separation" تفسير سفر العدد لماكينتوش (حسب الأصل باللغة الإنجليزية) وتفسير سفر العدد لوليم كلي. وكلا الكتابين متاح على الشبكة الدولية على الربط التالي:
http://www.stempublishing.com

امتـزج برمـاد البقـرة الحمـراء. لقـد مـات المـسيح ليطهرنـي، لا ليطهرني فقط من "دنس الجسد"، بل أيضًا من "دنس الروح" الذي هو دنس الفكر والتعليم. وأما مَنْ تـأثر بهذا التعليم حتـى الاعتنـاق، ورفض تطهير روحه مما مسها من نجاسة فكرية فإن أمر الرب من جهتـه هو أن "كُلُّ مَنْ مَسَّ مَيْتًا مَيْتَـةَ إِنْسَانٍ قَدْ مَاتَ وَلَمْ يَتَطَهَّرْ، يُنَجِّسُ مَسْكَنَ الرَّبِّ. فَتُقْطَعُ تِلْكَ النَّفْسُ مِنْ إِسْرَائِيلَ (رمز للكنيسة علـى الأرض فـي وحـدتها – أي يُعـزَل مـن الـشركة[1]). لأَنَّ مَـاءَ النَّجَاسَةِ لَمْ يُرَشَّ عَلَيْهَا تَكُونُ نَجِسَةً. نَجَاسَتُهَا لَمْ تَزَلْ فِيهَا".

ميت في الخيمة

لكن الخطورة الأكبـر هـي عندما يموت إنسانٌ بغتةً فـي الخيمة التـي أنـا فيهـا. فقد يحدث - وحدث بالفعل مرات عديدة فـي تـاريخ الكنيسة عامة، بل وفي تاريخ الإخوة المجتمعين لاسم الرب خاصة– أن يخرج علينا أحد المسيحيين الذين بيننا بفكر أو تعليم غريب على مـا تعلمنـاه مـن كلمـة الله. لقـد "مَـاتَ إِنْسَانٌ فِـي خَيْمَـةٍ". هذا الفكـر الغريـب ينجس كل مَنْ في هذه الكنيسة المحلية، عدا مَنْ تحصَّن بتشدد يصل إلـى الانغـلاق التـام ضد كل تعليم لا يوافق المكتوب، كالإنـاء الذي عليه سداد الانفصال بعصابة الكلمة. هذا انغلاقٌ حميد يمتدحه الرب بـالقول "أُخْتِـي الْعَرُوسُ جَنَّـةٌ مُغْلَقَـةٌ عَيْنٌ مُقْفَلَـةٌ يَنْبُوعٌ مَخْتُومٌ" (نش٤: ١٢).

لكـن كـل مـا فـي الخيمـة عدا هذا الإنـاء تـنجس بـالفكر المبتدع، حينئذ فـالأمر يحتـاج إلـى علاج يقوم بـه شـخصٌ طـاهر لم يكن فـي الخيمـة، ولـم يـدخلها، وهـي فيهـا الميـت. فعلـى القديـسين الـذين فـي

[1] ارجو أن يرجع القارئ إلى الفصل الثاني من كتيب "العبادة وسلطان الرب في كنيسة الله".

الخيام حول هذه الخيمة، أي الكنائس المحلية المحيطة التي لم تتنجس بهذا التعليم، أن يعالجوا الأمر. ولكن كيف؟

بديهي أنه أولاً لا بد من إخراج الميت من الخيمة، أي عزل من علّم بهذا التعليم، فلن يكون في الإمكان تطهيرها والميت لازال فيها. ولكن هذا لا يكفي، بل لا بد من إعادة التعليم الصحيح على مسامع أهل الخيمة ولو كانوا سمعوه مرات، فيعيد المعلمون الذين لا ينتسبون إلى هذه الكنيسة المحلية تعليم مَنْ تأثروا بهذا التعليم فيها. هذا ما يُكنى عنه بالقول "يَأْخُذُ رَجُلٌ طَاهِرٌ زُوفًا وَيَغْمِسُهَا فِي المَاءِ وَيَنْضِحُهُ عَلَى الخَيْمَةِ، وَعَلَى جَمِيعِ الأَمْتِعَةِ وَعَلَى الأَنْفُسِ الَّذِينَ كَانُوا هُنَاكَ". وليس ذلك فقط، بل ينبغي متابعة حالة هذه الكنيسة المحلية حتى نتأكد من تطهرها التطهير التام، فلا يكفي رش ماء النجاسة في اليوم الثالث فقط، بل ينبغي إعادة الرش في اليوم السابع، أي حتى يكمل التطهير.

طاهر يدخل الخيمة

لكن هناك حالة أخرى لا تقل خطورة عن سابقتها. هوذا إنسان طاهر يدخل خيمة فيها ميت. إنه لم يكن في الخيمة حين تنجست، بل دخلها طاهرًا، فخرج منها متنجسًا، فأصبح مصدر نجاسة لكل مَنْ حوله، لأن "كُلُّ مَا مَسَّهُ النَّجِسُ يَتَنَجَّسُ" (ع٢٢). فمتى عاد إلى خيمته التي خرج منها طاهرًا، ومسَّ أي شيء أو أي شخص فيها ينجسه.

نتائج خطيرة

هذا ما يحدث بالفعل عندما نتهاون في حق الانفصال. فالمسيحي الذي عنده التعليم الصحيح متى اختلط بعبادات مسيحية لا تتفق مع الحق، واندمج في خدمة يرتبط فيها بطوائف مسيحية أو هيئات تحت

أي مسميات لا تعترف ولا تحيا حسب حق الانفصال إلى الرب، فهو في الواقع يتنجس بتعاليمهم أو فكرهم، فقد دخل خيمة فيها ميت، بل وربما تلامس مع الميت، الذي هو التعليم الفاسد عندهم. وما الذي يحدث عندما يرجع إلى إخوته المنفصلين إلى الرب، وهو قد تأثر بفكرهم المناقض لكلمة الله؟ لا بد أنه سيؤثر بالتالي على مَنْ في خيمته، وهكذا ينجسهم أيضًا، ويكون قد نقل النجاسة إليهم من الخارج!

قد تظن أيها الأخ الحبيب، الذي بنيَّة صالحة تتهاون في هذا الأمر، ربما رغبة منك في أن تُعلم الآخرين ما تعلمته من الحق، وربما سعيًا للوصول إلى النفوس الغالية التي مات المسيح لأجلها، أن الانفصال بمثل هذه الصورة يحد من اتساع نطاق خدمتك، أو يجعلك كمَنْ يحتكر الحنطة. علاوة على أنك ربما تظن أنك لا يمكن أن تتأثر بهذه الأفكار أو التعاليم، فأنت ثابت على الحق. ولو فكرنا بالمنطق قد نجد مبررات لتفكيرك هذا، ولكن متى وضعنا كل فكر في ضوء المكتوب ستجد أن هذا فكر بشري لا توافق عليه كلمة الله. فأولاً أنت تثق هكذا في ذاتك أكثر مما ينبغي، فتظن أنك من المستحيل أن تتأثر بالتعاليم الفاسدة التي حولنا، ولكن اعلم أننا جميعًا ضعفاء، وقد أثبتت التجربة أن التأثير الفكري سهل كاستنشاق الهواء، وها هي شريعة البقرة الحمراء تؤكد على ذلك، فمتى كان الميت في خيمة فإنه ينجس كل مَنْ استنشق هواءها، وكل شيء تلامس مع هوائها، عدا الإناء الذي هواؤه لا يختلط بهواء الخيمة. وهذا واقع رأيناه بعيوننا.

علاوة على ذلك فإنك باختلاطك بمَنْ لا ينفصلون إلى الرب تشجع مَنْ لم يتثبتوا بعد في الحق على اتباعك. فلو فرضنا – جدلاً

– أنك أنت شخصيًا لن تتأثر فكريًا بهم، فإنك تكون قدوة لشباب لم يتبينوا بعد الصواب من الخطأ، وتهدم سور الانفصال أمامهم، وتجعلهم عرضة للتعاليم الفاسدة التي يسمعونها هناك ويتأثروا بها، فتقلب هذه التعاليم إيمانهم كما فعل تعليم هيمينايس وفيليتس، فيسقطوا فيما تظن أنك مُحَصَّن ضد السقوط فيه، وهكذا تكون قد نقلت النجاسة إليهم، حتى ولو أنك أنت شخصيًا لم تتأثر بهذه التعاليم. هذه هي أخطر العثرات، وحكم الرب هو "وَيْلٌ لِذلِكَ الإِنْسَانِ الَّذِي بِهِ تَأْتِي الْعَثْرَةُ".

في القدر موت

أ ليس هذا عين ما نتعلمه مما حدث في أيام أليشع النبي، حين "كَانَ جُوعٌ فِي الأَرْضِ"؟ (٢مل٦: ٣٨-٤١). لقد خرج واحد من المجتمعين إلى أليشع إلى الحقل. خرج من محضر أليشع، الذي هو رمز للمسيح. كان هذا الأخ مخلص النية تمامًا، فهو يبغي علاج مشكلة الجوع، ولكن بطريقته ومنهجه الخاص، فخرج ليلتقط بقولاً، علّه بهذا يشبع إخوته في زمان الجوع. وبماذا أتى؟ هل بالبقول؟ أ لم يكن الجوع "فِي الأَرْضِ" فلِمَ يبحث عن بقول فيها؟ واختلط عليه الأمر، فظن اليقطين البري[1] بقولاً، وملأ ثوبه منه، وأتى ليطعم إخوته. فماذا وجدوه في القدر؟ لقد صرخوا "فِي الْقِدْرِ مَوْتٌ يَا رَجُلَ اللهِ!".

هذا الأخ لم يرتكب إثمًا. إنه خادم مخلص، يبحث عن طعام لإخوته، وبكل قلبه يخدمهم، ولكن لم يلتصق بأليشع، بل خرج من محضره إلى العالم، فلم يأت لإخوته سوى بالموت. وماذا يمكن أن

[1] اليقطين البري هو الحنظل، وهو نبات سام طعمه شديد المرارة، مع أن ثمرته تبدو في الشكل كنوع من الخضروات.

نأتي به من الخدمة المشتركة مع مَنْ عندهم تعاليم فاسدة؟ ليس سوى الفلسفات البشرية، والعلاجات النفسية للأمراض الروحية، والاجتماعيات بدلاً من الروحيات، والفصاحة والأساليب التأثيرية بدلاً من برهان الروح، وهذا ليس سوى يقطين بري يملأ الفراغ دون علاج ولا شبع حقيقي، ولكن من بقوا مع أليشع صرخوا "فِي القِدْرِ مَوْتٌ يَا رَجُلَ اللهِ!" والموت كما رأينا مصدر النجاسة. ليتنا نصرخ ذات الصرخة اليوم، فيتداخل الرب بالعلاج الشافي.

* * *

حوارات

حول الانفصال

ذكريات

ليسمح لي القارئ أن أعود بالذاكرة إلى الوراء حوالي أربعين سنة أو أقل قليلاً، حين كنا في اجتماع أسيوط مجموعة من الطلبة الجامعيين، وقد ربطنا الرب بالحق بقوة، مستخدمًا رجالاً أفاضل، معظمهم رقدوا، ولكن بعضهم لازالوا بيننا، ونصلي أن يبقيهم الرب بيننا إلى مجيئه القريب جدًا، ويستمر عطاؤهم المبارك لكنيسته التي هي في حاجة ماسة هذه الأيام إلى خدمتهم الجليلة. كان حق الانفصال إلى الرب في تلك الأيام أمرًا لا يجادل فيه لا شيخ ولا شاب، فقد كان متأصلاً في القلوب، وعندما كان يتكلم أحد خدام

الرب عنه لم يكن يقدم حقًا جديدًا على المسامع، وإنما يبرز فقط تأكيدات الكلمة عليه ويُذكّر إخوته به.

ولا أستطيع أن أنسى تلك الليلة، حين حضر إلى أسيوط خادم الرب الراحل الدكتور نبيه اسحق، وتكلم عن شريعة البقرة الحمراء، فطبقها على حقيقة رد النفس، وكان تطبيقًا رائعًا. وكعادتنا في تلك الأيام لم نترك خادمه يستريح بعد الاجتماع، بل صحبناه إلى منزل عبد الرب الراحل الدكتور وليم مسعد، وكانت جلسة حول شريعة البقرة الحمراء امتدت إلى ما بعد منتصف الليل، وكنا حوالي عشرين شابًا.

بادر الأخ الدكتور نبيل نصيف بسؤال الخادم: «فهمنا معنى ذبح البقرة الحمراء وحرقها مع الأرز والقرمز والزوفا، ومعنى التطهير في اليوم الثالث واليوم السابع، ولكن لازال هناك الكثير الذي يحتاج إلى إيضاح معناه وتطبيقه. فمثلاً ما معنى الخيمة؟ ولماذا يتنجس كل ما فيها بالميت الذي مات فجأة؟ وما هو الإناء المفتوح، والذي عليه سداد بعصابة؟ وما هو تطبيق القتيل الذي على وجه الصحراء؟....». وهنا أخذ خادم الرب يشرح لنا تطبيق هذا الفصل على حق الانفصال. ولا زالت كلمات ونبرات وتعبيرات وجه هذا الخادم المبارك محفورة في ذهني. لم يكن هذا تعليمًا جديدًا علينا، وإنما الجديد كان تطبيق هذا الفصل عليه، لذلك لم تكن المناقشات حول المبدأ في حد ذاته، وإنما فقط عن المعنى الرمزي لهذه الشريعة.

لكن هذا الحق عندما نتكلم به اليوم يواجه بتساؤلات كثيرة حول المبدأ ذاته من الشباب، بل ومن بعض الشيوخ أحيانًا، وليس فقط عن تطبيقات الكلمة. وهذا يدل على أنه لم يعد الحق الواضح

المغروز في القلوب كما كان، وهذا أمر مؤسف يحتاج منا جميعًا أن نتوب ونرجع إلى الرب، ونعيد بناء السور، "وَلاَ نَكُونُ بَعْدُ عَارًا" (نح٢: ١٧).

في أكثر من مرة حين فتح الرب هذه الحقائق مؤخرًا دارت مناقشات وطرحت تساؤلات، وللفائدة أوجز أهمها في هذا الفصل[1].

س - هل الانفصال يتعارض مع الخدمة في وسط طوائف أو جماعات مسيحية لا تطبق حق الانفصال؟ ولو أن خادمًا دعي للخدمة بينهم، هل عليه أن يمتنع؟

جـ - يجب أن نفرق بين الارتباط بخدمة مع جماعة أو طائفة، وبين أن يرسل الرب خادمه إلى مكان ما ليتمم خدمة ويرجع إلى موضعه. فالحالة الأولى هي تلامس مع التعليم الخاطئ؛ لأن الخادم لن يبقى في ارتباط مع هذه الجماعة دون أن يغض الطرف على الأقل عن التعاليم الخاطئة عندهم، وهذا ينجس كما رأينا. أما إذا دعيت إلى خدمة، وتأكدت أن هذه الدعوة من الرب لأنه يريد أن يوصل إليهم حقًا جديدًا عليهم، فينبغي ألا أتخاذل عنها، ولكن يجب أن أتكلم بالتعليم الصحيح ولا أجامل مَنْ دعوني للخدمة، حتى لو أدَّى ذلك إلى عدم قبولهم لاستمراري في الخدمة. ثم عليَّ أن أحذر من أن تتحول هذه الإرسالية إلى خدمة منتظمة أصبح بها مرتبطًا بهذه الجماعة.

ولنا مثال واضح في كلمة الله على هذا في سفر الملوك الأول والأصحاح الثالث عشر، فقد أرسل الرب نبيًا من يهوذا إلى بيت إيل

---

[1] بعض الأسئلة كانت تكرارًا لما سبق مناقشته في كتيب "نقاط على حروف" فأرجو إذا بقيت لدى القارئ أسئلة أن يعود إليه ربما وجد إجابة على ما يدور بخلده من علامات استفهام، ولازلت أرحب بأي أسئلة ترد إلي على بريدي الإلكتروني المذكور على الصفحة الأولى.

ليعلن القضاء على يربعام وعبادته المبتدعة، فهل توانى بحجة الانفصال عن هذه العبادة؟ كلا، بل نفذ الإرسالية التي أرسله الرب فيها، ولكن كان أمر الرب إليه "لاَ تَأْكُلْ خُبْزاً وَلاَ تَشْرَبْ مَاءً وَلاَ تَرْجِعْ فِي الطَّرِيقِ الَّذِي ذَهَبْتَ فِيهِ" (ع٩). فعليه أن يؤدي مهمته، ولكن لا يبقى في المكان، ولا تكون له شركة مع من فيه، مع أنهم شعب الرب، لأن عبادتهم، وإن كانت ليهوه، لكن لم تكن تتفق مع الحق. كان عليه أن يرجع ولا يبقى في المكان، ويكون بالنسبة لهم كمَنْ هو عابر سبيل، فلا يرجع في الطريق الذي أتى منها، أي أنها مَرَّة ليس لها أن تتكرر أو تتحول إلى عادة، لأن محلتهم ليست هي هدفه. ولكنه تحت تأثير النبي الشيخ (لاحظ أن الأخير نبي، وعنده كلمة الله) دخل بيت هذا النبي. إنه لم يدخل إلى بيت أحد عبدة العجل الذهبي، ولا شارك في عبادته، بل بيت نبي للرب، لا يشارك في عبادة يربعام، فقط يسكن بينهم. ولكن بالرغم من ذلك، فمجرد بقائه هناك في شركة مع نبي ساكن في مكان الشر جلب عليه التأديب الرهيب.

س – هل لا يستمر الخادم في خدمته بينهم حتى ولو قبل الإخوة في هذه الجمعية أو الطائفة كلامه، ألا يكون استمراره معهم يمثل نشرًا للحق؟

جـ - ما هي علامات قبولهم لكلامه؟ هل أنهم أعجبوا به؟ أم أنهم لم يعترضوا عليه؟ لا هذا ولا ذاك يمكن أن نعتبره قبولاً للكلام. فقبول الكلام يستلزم الحياة بموجبه، لا مجرد الإعجاب به. فلو أنهم قبلوا كلام الخادم حقًا لانفصلوا إلى المسيح مع هذا الخادم، وتحولوا إلى الرب كمَنْ نجتمع إليه بدلاً من الإنسان أو العقيدة. قد يكون نتيجة هذه الخدمة أن أفرادًا ينفصلون بالفعل، ولكن الاستمرار في الخدمة يكون بمثابة ما فعله الخادم الشاب الذي من يهوذا حين طاوع النبي الشيخ، فبقي في المكان وأكل وشرب، ورأينا النتيجة بعد ذلك.

إن نشر الحق يستلزم أولاً أن يطبقه الخادم على نفسه، فليس نشر الحق بهدم سور الانفصال، بل بتعليته جدًا وعدم السماح بثغرة واحدة فيه (نح٦: ١).

س – ليس بالضرورة أن تكون خدمة هذا الخادم تعليمية، فقد يستخدمه الرب في خدمة تبشيرية أو تحريضية او وعظية.

جـ - كما رأينا في كتيب "العبادة وسلطان الرب في كنيسة الله" فإن التبشير خدمة تمارس خارج الكنيسة، ولكن ينبغي أن يكون هدفها أن تخلص النفوس وتنفصل إلى المسيح، لا مجرد أن تخلص من جهنم، وهذا الهدف لا يتحقق متى كان المبشر مرتبطًا بنظام مُرتب من الناس، فحسنًا أن يكرز المبشر في كل مكان، ولكن أن يتحول ذلك إلى ارتباط دائم بهيئة أو جماعة فذلك يقف حائلاً دون تحقيق هدف الكرازة. أما بالنسبة للخدمة التحريضية أو الوعظية، فجميع هذه الطوائف والجمعيات بها رجال أفضل يؤدون هذه الخدمة بأمانة وقوة نشكر الله لأجلها، فهي ليست الاحتياج الناقص عندهم حتى يرسل الرب إليهم آخرين. لذلك فإن لم تكن خدمتي تواجه نقصًا عندهم فلم يرسلني الرب، بل أنا الذي جريت (إر٢٣: ٢١). فلا ينبغي أن ننخدع بإعجاب الناس أو ترحيبهم بنا.

س – لو أن خادمًا دُعي للخدمة في أحد الكنائس الطائفية أو الجمعيات اللا طائفية، فهل من الخطأ أن أذهب أنا لسماع هذا الخادم؟

جـ - نرجع إلى ذات المثال السابق، فقد أرسل الرب خادمًا إلى بيت إيل، وفيها عبادة لا تتفق مع الحق، فهل يصلح أن يذهب معه بعض الرجال من يهوذا؟ إننا نجتمع إلى الرب يسوع، فهل أترك الرب وأذهب وراء الخادم؟ لقد أرسله الرب إلى هناك، فهل أرسلني لأستمع له؟

إننا يجب أن نشكر الرب لأجل خدامه المباركين، ولكن لا ينبغي أن يتحول النظر عن الرب إليهم. فنحن نتبع الرب ولا نتبع إنسانًا مهما كان. لذلك فإن نصيحتي للشباب على وجه الخصوص أن لا يتركوا اجتماع القديسين إلى اسم الرب لأجل سماع الخادم.

س – هناك بعض الخدام الفاهمين للحق فهمًا جميلاً، ولهم خدمتهم المباركة في طوائفهم أو جمعياتهم، أو ربما على نطاق أوسع من مجرد طائفة أو جمعية. فهل دعوتهم للخدمة بيننا لا تتفق مع ما تعلمه الكلمة في الفصول التي تناولناها في رسالة تيموثاوس الثانية والأصحاح التاسع عشر من سفر العدد؟

جـ - أفهم من هذا أن السائل يقول إن هذا الخادم ليس عنده هو شخصيًا تعليمًا فاسدًا، ولكنه مرتبط بجماعة عندها هذا التعليم. فإن كنا رأينا أن مَنْ كان في خيمة طاهرة ثم دخل خيمة فيها ميت يتنجس، ويصير مصدر نجاسة لمَنْ في خيمته عندما يعود إليها، فهل يمكن أن نسلم من ضرر أشد لو أن مَنْ كان مقيمًا في خيمة فيها ميت (وأكرر أن الميت هو التعليم الفاسد وليس الإخوة هناك) إلى خيمتنا؟ حتى ولو كان هو نفسه لم يتلامس مع الميت؟ إن دعوتنا لهذا الخادم للخدمة بيننا هي مصادقة على وضعه الخاطئ. صحيح أنه "إناء للكرامة" لكنه لم يُطهر نفسه من آنية الهوان التي عندها التعليم الخاطئ. ألا يدفع هذا مَنْ لم يتثبتوا في الحق، لاسيما الشباب، إلى الاقتداء به والارتباط بالمكان الذي فيه التعليم الفاسد؟ فنكون بذلك قد جنينا عليهم.

س – ولكن بعض القديسين في الطوائف لديهم فهم مبارك لبعض الموضوعات التي نعترف بأننا قاصرون فيها، فمثلاً نحن نحتاج أن نتعلم كيف نتعامل مع الشباب، أو مع أطفال مدارس الأحد، فهل إذا دعونا أحد القديسين المتخصصين في هذه المجالات ليعطي لنا بعض خبرته نكون قد أخطأنا؟

جـ - إن مصدر البركة الوحيد، ومصدر الحكمة الوحيد هو الرب. فإن كنا نحتاج إلى حكمة فعلينا أن نتبع قول الكتاب "إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ تُعْوِزُهُ حِكْمَةٌ فَلْيَطْلُبْ مِنَ اللَّهِ الَّذِي يُعْطِي الْجَمِيعَ بِسَخَاءٍ وَلاَ يُعَيِّرُ، فَسَيُعْطَى لَهُ" (يع ١: ٥). هل نحن نصدق قول الكتاب هذا؟

أنا لا أنكر أن هناك بعض القديسين في الطوائف عندهم من الاختبار ما يجعلهم أفضل من كثيرين بيننا في مثل هذه الأمور، ولكن وجود أي فكر تعليمي لا يوافق كلمة الله عندهم من المؤكد يؤثر على أسلوب معالجتهم لهذه الأمور، فإن كنا نبغي أن نجد الطريق الأفضل فعلينا أن نطلب من الرب أن يعلمنا.

إن حضور الرب في وسط القديسين المجتمعين إلى اسمه حقيقة أكيدة، وكثير من تساؤلاتنا ما كانت لتصعد على قلوبنا لو أن عندنا الإيمان بحضوره الحقيقي. كان الرب في وسط التلاميذ بالجسد، فهل كان من الممكن أن يصعد على قلب أي منهم مثل هذا الفكر، فيأتي بغمالائيل مثلاً، وهو معلم للناموس مشهود له، ليعلمهم أمرًا ما بدلاً من الرب لأنه متخصص في دراسته من العهد القديم؟ ألا نثق أن الرب "متخصص" في كل ما نحتاج أن نتعلمه، أكثر من هؤلاء المعلمين؟

إن الرب اليوم يحضر في وسط تلاميذه كما كان في أيام جسده، ولكن بقوة حضور أعظم، فقد كان بينهم في جسد الاتضاع، أما الآن فهو بيننا كالإنسان الممجد عن يمين الله، والأمر لا يحتاج سوى الإيمان بصدق قوله "حَيْثُمَا اجْتَمَعَ اثْنَانِ أَوْ ثَلاَثَةٌ بِاسْمِي فَهُنَاكَ أَكُونُ فِي وَسْطِهِمْ" (مت١٨: ٢٠).

س – هل معنى ذلك أنك تعتبر كل القديسين الذين في الطوائف نجسين؟ هذا حكم خطير وغير مقبول.

جـ – حاشا أن نعتبر إخوتنا الأحباء في الطوائف نجسين، فلا هذا تعليم كلمة الله ولا ما ضمنته في هذا الكتيب، فهذا بالفعل حكم مرفوض تمامًا. وكيف نحتقر إخوتنا القديسين الذين لم يصلهم النور كاملاً، أو ربما الذين أعاقتهم ظروف عن تطبيق حق الانفصال، أو ربما رأوا أن هذا هو الطريق الأفضل بحسب نظرتهم. كلا، وأؤكد أيضًا: **كلا**. لم تعلمنا كلمة الله هكذا، فمَنْ لم يُنر الرب ذهنه بهذا الحق لا يطالبه الرب به، لذلك فمع بقائه في مكان ليس بحسب فكر الرب لا يكون نجسًا بحسب النور الذي عنده. وأرجو لمَنْ ظنَّ خلاف ذلك مما سبق في هذا الكتيب أن يعيد قراءة الفصول السابقة بتأن وتدقيق ليتأكد من ذلك.

في تيموثاوس الثانية والأصحاح الثاني يبين الرسول أن آنية الكرامة ينبغي أن تتطهر بالانفصال عن آنية الهوان، لكن لا يقول إن آنية الهوان نجسة. ففي بيوت العظماء، توجد آنية من ذهب ومن فضة، وهذه توضع بالضرورة في دولاب خاص ضلفةُ من البلور تسمح بإظهار قيمتها الكبيرة التي يفتخر بها صاحب البيت. وهذه الآنية لا تستخدم إلا فيما يتناسب مع مادتها وقيمتها. ولكن توجد أيضًا آنية من خشب ومن خزف، وهي لا توضع مع آنية الكرامة، بل لها مكانها. كما أن استخداماتها عادة ما تكون أكثر اتساعًا من آنية الكرامة. وفي مكانها واستخدامها هي طاهرة في حد ذاتها. لكن هذه الآنية لا تصلح للمناسبات التي تستلزم آنية فضة وآنية ذهب. ولكن المشكلة هي عندما يترك إناء الكرامة مكانه ويوجد بين آنية الهوان، فبذلك لا يكون صالحًا للعمل الذي صُنع لأجله. صحيح إنه قد يؤدي مهمة إناء الخزف، ولكنه لم يُصنع لهذا، لذلك فهو يحسب

قد تنجس بالارتباط بآنية الهوان، بالرغم من أن إناء الخزف الذي في موضعه ويؤدي مهمته لا يُحسب نجسًا[1].

إن الخادم الذي عنده الحق هو إناء من فضة أو ذهب. هذا ليس لفضل فيه، بل هي نعمة الله التي صنعت منه كذلك، فإن كان يربط نفسه بجماعات أو طوائف لا تعترف بالحق الكامل، يضطر في خدمته بينهم إلى تجنب الدخول في مناطق من الحق لا ترضى عنها هذه الجماعات، وهكذا، مع كونه إناء للكرامة، لكنه لا يكون مستعدًا لكل عمل صالح، بل فقط للعمل الذي يستطيع أن يؤديه إناء الخزف أو الخشب. وبينما يكون إناء الخشب أو الخزف قد أدَّى عمله الطبيعي، يكون إناء الذهب أو الفضة فقد قيمته الذي صاغه صاحبه فيها، وهذا ما تعتبره كلمة الله نجاسة.

هذا ليس مصادقة على موقف من عرف الرب ولم ينفصل إليه، فالأمر "فَلْنَخْرُجْ إِذاً إِلَيْهِ خَارِجَ الْمَحَلَّةِ حَامِلِينَ عَارَهُ" موجه إلى كل مسيحي حقيقي، ولكن مع ذلك فمَنْ سمع هذا النداء وخرج إلى الرب ليس له أن يدينِ مَنْ لم يخرج بعد.

إذن علينا أن نشكر الرب ونصلي لأجل خدمة مَنْ لم ينفصلوا إليه، ولكن لا ينبغي أن نرتبط بهم فيها. فمهما كان سبب عدم انفصالهم، فإنهم في يد الرب يشغلهم كما يشاء. ولكن مَنْ انفصل إلى الرب لا ينبغي أن تأخذه الغيرة حين يرى اتساع مجال خدمة أخيه الذي لم ينفصل، واتساع شعبيته وتعلق الناس به، وكثرة عدد الذين يحبون سماعه، فلا يحاول تقليده، لأنه إناء من نوعية تختلف، وله عمل يختلف.

---

[1] أتمنى لو أن القارئ قرأ كتيب "نقاط على حروف" لنفس الكاتب، ليفهم هذه الحقيقة بصورة أوضح.

س – ألا يزيد هذا من روح التعالي والكبرياء التي عندنا؟

جـ – الحقيقة هي أن الوجود أمام الرب هو ما يجعلني أتضع الاتضاع الحقيقي، لأني سأرى نفسي في ضوء محضره المقدس. هذا ما حدث بالفعل مع إشعياء النبي (إش٦). أما أن أترك محضر الرب حتى تحت رغبة الخدمة بين الآخرين فهو وإن بدا ظاهريًا اتضاعًا، لكنه مصدر الشعور بأنني شيء، لأنني سأرى نفسي بالمقارنة معهم وليس مع الرب.

إن الرب أعطانا ما لم يعطه للأخوة الذين لم ينفصلوا إلى الرب، وإنكارنا لهذه الحقيقة بدعوى الاتضاع هو إنكار لنعمة الله التي ميزنا بها. صحيح أننا نتوقع أنه قد يتهمنا بعض القديسين في هذه الطوائف بالكبرياء، تمامًا كما يتهم المتدينون المسيحيون مَنْ يجاهرون بأنهم نالوا بالنعمة الخلاص الأبدي بالكبرياء. ولكن هل نحن يهمنا تقرير الرب عنا أم تقرير الناس؟

س – ألا يعد تطبيق شريعة البقرة الحمراء على فكر الانفصال خلطًا بين العهد القديم والعهد الجديد؟ إننا نسمع دائمًا أنه لا يجب أن نخلط بين العهدين، وأن التطبيق الحرفي في العهد القديم لا يصلح لتدبير النعمة، فلماذا نقبل هذا التطبيق من العهد القديم علينا الآن؟

جـ – يكون هذا الاعتراض صحيحًا لو أنني قلت إن مَنْ أخطأ خطية تنقض مبدأ الانفصال إلى الرب يقوم بذبح بقرة حمراء، ويبحث عن كاهن هاروني ليتمم طقوسها. لكن ما يجب أن نفهمه هو أن كل الشرائع والطقوس والفرائض الجسدية في العهد القديم لها تطبيقها الروحي في تدبير النعمة. فهذه الشريعة بكل تأكيد لم توضع إلا لنتعلم منها حقًا هامًا، وعلينا أمام كل شريعة في العهد القديم أن نبحث عما يوافقها روحيًا في مبادئ ونور العهد الجديد، وعندئذ

سنجد أنها تلقي بضوء أوضح على كيفية تطبيق هذه المبادئ. فإن كان يجب ألا نخلط بين العهدين في الجوانب التدبيرية، فلا نطبق مركز إسرائيل الأرضي وبركاتهم الأرضية على الكنيسة السماوية، لكن هذا ليس معناه أن العهد القديم بلا قيمة بالنسبة لنا، بل إن لنا في كل كلمة فيه الكثير من التعليم.

س – أليس هؤلاء الإخوة في الطوائف أعضاء جسد المسيح؟ فكيف نمتنع عن الشركة معهم؟ ألا يتعارض هذا مع مبدأ وحدة الكنيسة؟

جـ – بالفعل أحباؤنا في الطوائف والجمعيات اللا طائفية هم جميعًا أعضاء معنا في جسد المسيح، وينبغي أن تكون لنا الشركة الشخصية معهم، فالانفصال هو في مجال العبادة والخدمة لا في مجال الشركة الشخصية.

أما وحدة الكنيسة، فهي وحدة لا نصنعها نحن، بل الروح القدس، بأن يسكن في كل مؤمن. أما واجبنا فهو أن نجتهد لنحفظ "وَحْدَانِيَّةَ الرُّوحِ بِرِبَاطِ السَّلاَمِ" (أف٤: ٣). لكن كيف هذا. إذا أكملنا القراءة في نفس الأصحاح نفهم أن هذا يتحقق فقط بأن "نَنْتَهِيَ جَمِيعُنَا إِلَى وَحْدَانِيَّةِ الإِيمَانِ وَمَعْرِفَةِ ابْنِ اللهِ. إِلَى إِنْسَانٍ كَامِلٍ. إِلَى قِيَاسِ قَامَةِ مِلْءِ الْمَسِيحِ" وذلك بأن "نَنْمُو فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَى ذَاكَ الَّذِي هُوَ الرَّأْسُ: الْمَسِيحُ، الَّذِي مِنْهُ كُلُّ الْجَسَدِ مُرَكَّباً مَعاً، وَمُقْتَرِناً بِمُؤَازَرَةِ كُلِّ مَفْصِلٍ، حَسَبَ عَمَلٍ، عَلَى قِيَاسِ كُلِّ جُزْءٍ، يُحَصِّلُ نُمُوَّ الْجَسَدِ لِبُنْيَانِهِ فِي الْمَحَبَّةِ" (أف٤: ١٥ و١٦). إذًا فالاجتهاد لأجل وحدة الكنيسة يكون على أساس الارتباط عمليًا بحق رئاسة المسيح للكنيسة. فعلى مَنْ يريد وحدة الكنيسة أن ينفصل إلى الرب رأسها، لا أن يترك الرأس إلى طوائف أو عقائد في سبيل وحدتها. قد يتحقق

نوع من الوحدة إذا تغاضينا عن بعض الحق، ولكن هذه لا تكون "وحدة جسد المسيح".

س – إننا الآن في اللحظات الأخيرة ومجيء الرب قد أصبح قريبًا جدًا، فهل هذا وقت لأن نهتم بهذه التعاليم؟ لقد شبعنا تعليمًا وسمعنا كل ما يمكن أن نسمعه منها، أ ليس الأفضل أن نعطي الأولوية الآن للنفوس الهالكة؟

جـ – بكل تأكيد نحن في اللحظات الأخيرة لدور الكنيسة وبشارة إنجيل نعمة الله، ولكن الأولويات التي يضعها السائل عكس الأولويات التي نتعلمها من كلمة الله عندما تتكلم عن هذه الأيام الأخيرة. أنا لا أدعو لأن نتوقف عن التبشير ووعظ الخطاة، ولكن ما هي الأولوية؟ إن جميع الرسائل التي تتكلم عن الأيام الأخيرة تركز تركيزًا شديدًا على التمسك بالتعليم الصحيح، والانفصال عن الشر خاصة الشر التعليمي. ومن علامات الارتداد في الأيام الأخيرة إهمال التعليم وليس إهمال التبشير. وقد رأينا رسالة بولس الرسول الثانية إلى تلميذه تيموثاوس وكيف يُنبِّر فيها على التمسك بالتعليم الصحيح ووجوب الانفصال في الأيام الأخيرة قبل التحريض على الكرازة بالكلمة.

أما يهوذا، فقد كتب رسالته عن "الزَّمَانِ الأَخِيرِ" (يه١٨) الذي هو آخر الأزمنة الأخيرة، أي أيامنا التي نتوقع فيها مجيء المسيح لأخذ قديسيه بين لحظة وأخرى، فقد حدَّد بصراحة ووضوح تام الأولويات التي يجب أن نضعها أمامنا الآن، فقد كان يصنع "كُلَّ الجَهْدِ" ليكتبَ إلى القديسين "عَنِ الخَلاَصِ المُشْتَرَكِ (موضوع الكرازة)"، لكنه اضطر أن يكتب إليهم "وَاعِظاً أَنْ يَجْتَهِدُوا لأَجْلِ الإِيمَانِ المُسَلَّمِ مَرَّةً لِلقِدِّيسِينَ (أي الحق المعطى للكنيسة)" (يه٣).

فهل نحن أحكم من الروح القدس الذي أعطاه بالوحي أن يعطي الأولوية للتعليم؟

أما قولنا إننا شبعنا تعليمًا فمعناه أننا كمَنْ ألقوا بالحنطة في البحر بعدما شبعوا! (أع٢٧: ٣٨). هل نحن نحيا بحسب التعليم الذي سمعناه وتعلمناه؟ إن كانت الإجابة نعم، فنحن نحتاج إلى مَنْ يُذكّرنا باستمرار به (٢بط١: ١٢-١٥، ٣: ١ و٢)، وإن لا، وهذا ما ينبغي بكل انكسار أن نعترف به، فنحن نحتاج إلى أن نتعلم من جديد، ففي جميع الحالات وفي كل الأوقات نحن نحتاج إلى التعليم.

أ ليس بيننا مؤمنون أحداث يحتاجون إلى التعليم؟ وأولادنا؛ أ ليسوا في حاجة إلى أن يتعلموا كلمة الله؟ إن كنا قد تعلمنا الحق فعلاً وقدَّرناه فلن نشبع منه، ولن نلق به في البحر ونحرم الآخرين منه. إن الرب هو الحق (يو١٤: ٦) ومن يُقدِّر الرب يُقدِّر الحق.

مرة أخرى أؤكد أن هذا لا يعني أن نهمل توصيل نور الإنجيل إلى النفوس الحائرة حولنا، فكل منا سيعطي حساب وكالته، ولكن ينبغي أولاً أن نتثبت نحن في الحق ونسلك فيه حتى نكون بركة حقيقية لهذه النفوس.

* * *

الطائفية واللا طائفية

والانفصال

هل نحن بهذا "طائفة" مثل باقي الطوائف؟ وإن كانت الإجابة "لا" فما الفارق؟ أ ليست صورة الانفصال التي رأيناها تجعل منا طائفة متعصبة لمذهبها؟

إن كنا نقصد المعنى اللغوي لكلمة "طائفة" فنحن لا ننكر أننا طائفة من الناس، جمعهم أمرٌ ما معًا، وهو الرب الذي انفصلوا إليه، وليس إلى مذهب أو عقيدة أو مُعلم. أما إذا كنا نتكلم عن المفهوم الدارج بين المسيحيين لهذه الكلمة، فعلينا أن نعرف ما هي مقومات الطائفة المسيحية لكي تتضح الحقيقة الواقعة.

خصائص الطائفة المسيحية

إن الطوائف المسيحية تتميَّز كل منها عن الأخرى من خلال عدة أمور، أهمها:

- عقيدة محددة بشأن الأمور التي اختلف عليها المسيحيون منذ نشأة المسيحية حتى اليوم. وفي أغلب الأحيان تصاغ هذه العقيدة في ما يُسمَّى بقانون إيمان الطائفة.
- قيادة للطائفة يتم اختيارها بحسب الأسلوب الذي يعتقد مؤسس أو قادة الطائفة أنه الأسلوب الأمثل، أو ربما ظنوه الأسلوب الكتابي.

- نظام محدد للعبادة، سواء كان تقليديًا متوارثًا عن الآباء، أو مُرتبًا من وضع مؤسسي الطائفة.
- ترتيب لكيفية تعيين الخدام الرسميين في الطائفة.

هذا علاوة على ما قد يضاف عند بعض الطوائف من سلطان للقيادات أو الخدام في قبول عضوية مَنْ يريد الانتساب إلى الطائفة، وخلاف ذلك من السلطات.

وبغض النظر عن مدى انطباق بعض هذه المبادئ أو عدم اتفاقها مع كلمة الله، فإن مَنْ يريد العضوية بالطائفة عليه قبول مبادئها.

خصائص مَنْ ينفصلون إلى الرب

إذا طبقنا هذه المبادئ على تعليم كلمة الله، فسيتضح لنا بسهولة أن الطائفية بهذا المعنى ضد الفكر الإلهي تمامًا. ولنراجع معًا ما نتعلمه من كلمة الله في هذا الصدد:

- لو فحصنا كل قوانين الإيمان، سواء التي وضعت بمعرفة المجامع المسكونية، أو مؤسسي الطوائف فسنكتشف فيها ما يناقض كلمة الله الصريحة. هذا ليس بالضرورة لانحراف واضعيها عن الحق، فكثيرون منهم كانوا رجال إيمان عظماء، ولكن لأن الإنسان لا يمكن أن يعمل عملاً كاملاً. أما مَنْ انفصلوا إلى المسيح لا يستطيعون وهم في محضره أن يكون لهم ما يميزهم كطائفة مسيحية. فحضور الرب بينهم يُلزمهم بأن يضع هو قانون إيمانهم، وقد أكمل وضعه وسلمه للكنيسة منذ القرن الأول، وهو كلمة الله كلها، وكلمة الله وحدها. وهم في محضره يعرفون حقيقة ذواتهم، وأنهم ليسوا أهلاً لأن

يصيغوا قانون إيمان، حتى لو حاولوا جهدهم أن يكون شاملاً للحق الكتابي كاملاً وصحيحًا، فكلما تعمقنا أكثر في فهم هذه الكلمة العظيمة، فإننا نكتشف بالأكثر ضآلتنا وأننا لم نستوعب بعد سوى القليل من أبعادها.

- أن كلمة الله تعلمنا أننا جميعًا إخوة، وأن رأسنا هو الرب يسوع الذي في السماء، وكل مَنْ أخذ مركزًا رئاسيًا بين الكنيسة ينازع ربنا المعبود مكانه، والرئاسة البشرية عنصر أساسي للطائفة.
- لا نجد في أسفار العهد الجديد أي ترتيب مُحدَّد لتنظيم العبادة[1]، وإنما فقط نجتمع إلى شخص المسيح، وهو يرتب بالروح القدس العبادة كما يشاء.
- كلمة الله تعلمنا أن الرب هو وحده الذي يختار خدامه ويعلمهم، وبالروح القدس يؤيدهم بالموهبة ويرسلهم، ولا سلطان لإنسان أن يرسل خدامًا للمسيح.
- ثم إنهم لا يستطيعون والرب في وسطهم أن يقيموا أو يعترفوا برئيس غيره، فهم لم يجتمعوا إلى شخص سواه. وهم جميعًا يضعون أنفسهم تحت إمرته، وكل منهم عينه إلى يدي سيده في انتظار إشارة منه ليقوم بالخدمة التي يكلفه هو بها، فهو عبده هو وليس عبدًا للناس، مهما كانوا. ولو فعلوا أيًا من تلك الأمور التي تجعل منهم طائفة مسيحية لما كانوا بعد مجتمعين إلى هذا الشخص المبارك.

---

[1] هذه الموضوعات بُحثت بالتفصيل في كتيب "العبادة وسلطان الرب في كنيسة الله" وهو ليس موضوع كتيبنا هذا، ولا مجال للتكرار، فإذا أراد القارئ دراسته أرجوه الرجوع إلى ذلك الكتيب.

الواقع العملي

قد يرد القارئ في قلبه بأن هذه الصورة التي ترسمها السطور التي سبقت لا تتحقق عمليًا في اجتماعات المسيحيين الذين يقولون إنهم انفصلوا إلى اسم المسيح، وهذا واقع بلا شك، ومع ذلك، فإن فشلنا في تحقيق هذه الصورة المثالية ينبغي أن يجعلنا نتمسك أكثر بالرب والالتصاق به، وعدم التفريط في مبدأ الانفصال إليه. إنَّ فشلنا يكشف أكثر عن أننا في حاجة إليه. لقد ظهر الفشل مرة ومرات بين التلاميذ الذين كان الرب بينهم بالجسد، ولكنهم في كل مرة خرجوا من الفشل باختبار جديد يؤكد حاجتهم أكثر إلى التمسك به. مرة أخذ بطرس مركز القيادة، فما كان منه سوى أنه انتهر الرب (مت١٦: ٢٢). ومرة أخرى فكروا فيمن يكون الأعظم بينهم، ومرة ثالثة بعد القيامة حين وجدوا أنفسهم بدونه، فخرجوا ليتصيدوا بقيادة بطرس. ولا أظن أن واحدًا منا يفتكر في نفسه أنه أفضل من هؤلاء الرسل. ولكن من خلال الفشل تعلموا الدروس التي جعلتهم يتكلون على السيد الاتكال الكامل، لا أن يستقلوا بفكرهم الخاص.

اللا طائفية وخصائصها

هل معنى ذلك أننا لا طائفيين؟ إن الكثير من الجماعات المسيحية تنتهج مبدأ اللا طائفية، فهل كوننا لسنا طائفة بالمعنى الدارج للطوائف المسيحية يعني أننا أحد هذه الجماعات اللا طائفية؟

الواقع أننا نرفض الطائفية من منطلق تناقضها مع كلمة الله كما رأينا، إلا أن أساس اللا طائفية في الجماعات التي انتهجتها ليس هو هذا الفكر، بل قامت هذه الجماعات على مبدأ الاكتفاء بالحد الأدنى من الحق، والذي يمكن أن تتفق عليه مجموعة من الطوائف، وأن

يبقى لكل واحد فكره الخاص، مع عدم الخوض في التعاليم التي لا تتفق عليها الآراء. ولا مانع من أن يحتفظ كل فرد في جماعة كهذه بانتسابه إلى طائفة من الطوائف التي جمعها هذا القدر المحدود من الحق.

وأول حق لابد من التضحية به في سبيل توحيد أفراد هذه الجماعة اللا طائفية هو حق الانفصال إلى المسيح، لأن الاعتراف بهذا الحق سيهدم فكرة اللا طائفية من أساسه. فمَنْ يريد التمسك بقانون إيمان لطائفة لن يقبل الانفصال إلى المسيح. وهكذا فإن الجماعات اللا طائفية ضمت فيما بينها أفرادًا كل منهم يتمسك بتعليم أو تعاليم في قانون إيمان طائفته، لا تتفق مع كلمة الله. أين سلطان الرب بين جماعة لها هذا المبدأ؟ أين حق الكنيسة التي هي بيت الله، عمود الحق وقاعدته؟

لهذا فإننا وإن كنا لسنا طائفة بالمفهوم الدارج بين المسيحيين، فإننا أيضًا لسنا لا طائفيين بالمفهوم الدارج بين الجماعات اللا طائفية.

إن انتسابي إلى جماعة لا طائفية يتعارض تعارضًا مباشرًا مع انفصالي إلى الرب. ولست أريد تكرار ما فحصناه في ضوء الكلمة، ولكن فقط أذكر القارئ بأن من انفصل إلى الرب انفصل عن كل من ليس منفصلاً إليه، فلا يكفيني أن أخرج خارج المحلة فقط، بل لابد أن أخرج **"إليه"**. قد تكون اللا طائفية خروجًا، ولكن ليس الرب، فإلى أين؟ ربما كان مَنْ بقي في المحلة أحسن حالاً، فعلى الأقل له مبدأ وتعليم واضح ومحدد، حتى ولو لم يتفق مع ما تعلنه كلمة الله.

* * *

خاتمة

ما استعرضناه من أمثلة وفصول كتابية عن الانفصال إلى الرب هي في حقيقة الأمر قليل من كثير، فهو حق متغلغل في كل أجزاء الكتاب، ولا يكفي كتيب كهذا لاستيعابها، فلا طاقة الكاتب على الكتابة، ولا طاقة القارئ على القراءة تسمح بذلك. لكن لنكتفِ ببعض العناوين والشواهد الكتابية التي لم نتأملها، ليتبين لنا مدى تأصل هذا الحق فيها:

في الخليقة

وَقَالَ اللهُ: «لِيَكُنْ نُورٌ» فَكَانَ نُورٌ.
وَرَأَى اللهُ النُّورَ أَنَّهُ حَسَنٌ. وَفَصَلَ اللهُ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ

تك١: ٣ و٤

* * *

يوسف

مِنْ إِلهِ أَبِيكَ الَّذِي يُعِينُكَ وَمِنَ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ الَّذِي يُبَارِكُكَ تَأْتِي بَرَكَاتُ السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ وَبَرَكَاتُ الْغَمْرِ الرَّابِضِ تَحْتُ.... إِلَى مُنْيَةِ الآكَامِ الدَّهْرِيَّةِ تَكُونُ عَلَى رَأْسِ يُوسُفَ وَعَلَى قِمَّةِ نَذِيرِ (أي المنفصل عن) إِخْوَتِهِ.

(تك٤٩: ٢٥ و٢٦)

* * *

موسى في مواجهة عبادة العجل الذهبي

وَقَفَ مُوسَى فِي بَابِ الْمَحَلَّةِ، وَقَالَ: «مَنْ لِلرَّبِّ فَإِلَيَّ». فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ جَمِيعُ بَنِي لاَوِي

(خر٣٢: ٢٦)

وَأَخَذَ مُوسَى الْخَيْمَةَ وَنَصَبَهَا لَهُ خَارِجَ الْمَحَلَّةِ، بَعِيدًا عَنِ الْمَحَلَّةِ، وَدَعَاهَا «خَيْمَةَ الاجْتِمَاعِ». فَكَانَ كُلُّ مَنْ يَطْلُبُ الرَّبَّ يَخْرُجُ إِلَى خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ الَّتِي خَارِجَ الْمَحَلَّةِ... وَكَانَ عَمُودُ السَّحَابِ إِذَا دَخَلَ مُوسَى الْخَيْمَةَ يَنْزِلُ وَيَقِفُ عِنْدَ بَابِ الْخَيْمَةِ وَيَتَكَلَّمُ الرَّبُّ مَعَ مُوسَى.... وَإِذَا رَجَعَ مُوسَى إِلَى الْمَحَلَّةِ كَانَ خَادِمُهُ يَشُوعُ بْنُ نُونَ الْغُلاَمُ، لاَ يَبْرَحُ مِنْ دَاخِلِ الْخَيْمَةِ.

(خر٣٣: ٧-١١)

* * *

في شريعة النذير

(أي المنفصل)

كُلَّ أَيَّامِ انْتِذَارِهِ لِلرَّبِّ لاَ يَأْتِي إِلَى جَسَدِ مَيْتٍ. أَبُوهُ وَأُمُّهُ وَأَخُوهُ وَأُخْتُهُ لاَ يَتَنَجَّسْ مِنْ أَجْلِهِمْ عِنْدَ مَوْتِهِمْ، لأَنَّ انْتِذَارَ إِلهِهِ عَلَى رَأْسِهِ. إِنَّهُ كُلَّ أَيَّامِ انْتِذَارِهِ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ. وَإِذَا مَاتَ مَيْتٌ عِنْدَهُ بَغْتَةً عَلَى فَجْأَةٍ فَنَجَّسَ رَأْسَ انْتِذَارِهِ، يَحْلِقُ رَأْسَهُ يَوْمَ طُهْرِهِ. فِي الْيَوْمِ السَّابعِ يَحْلِقُهُ. وَفِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ يَأْتِي بِيَمَامَتَيْنِ أَوْ بِفَرْخَيْ حَمَامٍ إِلَى الْكَاهِنِ إِلَى بَابِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ، فَيَعْمَلُ الْكَاهِنُ وَاحِدًا ذَبِيحَةَ خَطِيَّةٍ، وَالآخَرَ مُحْرَقَةً وَيُكَفِّرُ عَنْهُ مَا أَخْطَأَ بِسَبَبِ الميْتِ، وَيُقَدِّسُ رَأْسَهُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ. فَمَتَى نَذَرَ لِلرَّبِّ أَيَّامَ انْتِذَارِهِ يَأْتِي بِخَرُوفٍ حَوْلِيٍّ ذَبِيحَةَ إِثْمٍ، وَأَمَّا الأَيَّامُ الأُولَى فَتَسْقُطُ لأَنَّهُ نَجَّسَ انْتِذَارَهُ

عد٦: ٦-١٢

* * *

راعوث في حقل بوعز

فَقَالَ بُوعَزُ لِرَاعُوثَ: «أَلاَ تَسْمَعِينَ يَا بِنْتِي؟ لاَ تَذْهَبِي لِتَلْتَقِطِي فِي حَقْلِ آخَرَ، وَأَيْضًا لاَ تَبْرَحِي مِنْ ههُنَا، بَلْ هُنَا لاَزِمِي فَتَيَاتِي. عَيْنَاكِ عَلَى الْحَقْلِ الَّذِي يَحْصُدُونَ وَاذْهَبِي وَرَاءَهُمْ»

را٢: ٨ و٩

* * *

«أَنْتُمْ تَرَوْنَ الشَّرَّ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ، كَيْفَ أَنَّ أُورُشَلِيمَ خَرِبَةٌ، وَأَبْوَابَهَا قَدْ أُحْرِقَتْ بِالنَّارِ. هَلُمَّ فَنَبْنِيَ سُورَ أُورُشَلِيمَ وَلاَ نَكُونُ بَعْدُ عَارًا». وَأَخْبَرْتُهُمْ عَنْ يَدِ إِلهِي الصَّالِحَةِ عَلَيَّ، وَأَيْضًا عَنْ كَلاَمِ الْمَلِكِ الَّذِي قَالَهُ لِي، فَقَالُوا: «لِنَقُمْ وَلْنَبْنِ». وَشَدَّدُوا أَيَادِيَهُمْ لِلْخَيْرِ

نح٢: ١٧ و١٨

وَلَمَّا سَمِعَ سَنْبَلَطُ وَطُوبِيَّا وَالْعَرَبُ وَالْعَمُّونِيُّونَ وَالأَشْدُودِيُّونَ أَنَّ أَسْوَارَ أُورُشَلِيمَ قَدْ رُمِّمَتْ وَالثُّغَرَ ابْتَدَأَتْ تُسَدُّ، غَضِبُوا جِدًّا

نح٤: ٧

وَلَمَّا سَمِعَ سَنْبَلَطُ وَطُوبِيَّا وَجَشَمٌ الْعَرَبِيُّ وَبَقِيَّةُ أَعْدَائِنَا أَنِّي قَدْ بَنَيْتُ السُّورَ وَلَمْ تَبْقَ فِيهِ ثُغْرَةٌ، عَلَى أَنِّي لَمْ أَكُنْ إِلَى ذلِكَ الْوَقْتِ قَدْ أَقَمْتُ مَصَارِيعَ لِلأَبْوَابِ، أَرْسَلَ سَنْبَلَطُ وَجَشَمُ إِلَيَّ قَائِلَيْنِ: «هَلُمَّ نَجْتَمِعُ مَعًا فِي الْقُرَى فِي بُقْعَةِ أُونُو». وَكَانَا يُفَكِّرَانِ أَنْ يَعْمَلاَ بِي شَرًّا فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِمَا رُسُلاً قَائِلاً: «إِنِّي أَنَا عَامِلٌ عَمَلاً عَظِيمًا فَلاَ أَقْدِرُ أَنْ أَنْزِلَ. لِمَاذَا يَبْطُلُ الْعَمَلُ بَيْنَمَا أَتْرُكُهُ وَأَنْزِلُ إِلَيْكُمَا؟»

نح٦: ١-٣

كَانَ أَلْيَاشِيبُ الْكَاهِنُ الْمُقَامُ عَلَى مِخْدَعِ بَيْتِ إِلهِنَا قَرَابَةُ طُوبِيَّا، قَدْ هَيَّأَ لَهُ مِخْدَعًا عَظِيمًا حَيْثُ كَانُوا سَابِقًا يَضَعُونَ التَّقْدِمَاتِ وَالْبَخُورَ وَالآنِيَةَ، وَعُشْرَ الْقَمْحِ وَالْخَمْرِ وَالزَّيْتِ،... وَفَهِمْتُ الشَّرَّ الَّذِي عَمِلَهُ أَلْيَاشِيبُ لأَجْلِ طُوبِيَّا، بِعَمَلِهِ لَهُ مِخْدَعًا فِي دِيَارِ بَيْتِ اللهِ. وَسَاءَنِي الأَمْرُ جِدًّا، وَطَرَحْتُ جَمِيعَ آنِيَةِ بَيْتِ طُوبِيَّا خَارِجَ الْمِخْدَعِ، وَأَمَرْتُ فَطَهَّرُوا الْمَخَادِعَ، وَرَدَدْتُ إِلَيْهَا آنِيَةَ بَيْتِ اللهِ مَعَ التَّقْدِمَةِ وَالْبَخُورِ.... فِي تِلْكَ الأَيَّامِ أَيْضًا رَأَيْتُ الْيَهُودَ الَّذِينَ سَاكَنُوا نِسَاءً أَشْدُودِيَّاتٍ وَعَمُّونِيَّاتٍ وَمُوآبِيَّاتٍ. وَنِصْفُ كَلاَمِ بَنِيهِمْ بِاللِّسَانِ الأَشْدُودِيِّ، وَلَمْ

يَكُونُوا يُحْسِنُونَ التَّكَلُّمَ بِاللِّسَانِ الْيَهُودِيِّ، بَلْ بِلِسَانِ شَعْبٍ وَشَعْبٍ. فَخَاصَمْتُهُمْ وَلَعَنْتُهُمْ وَضَرَبْتُ مِنْهُمْ أُنَاسًا وَنَتَفْتُ شُعُورَهُمْ، وَاسْتَحْلَفْتُهُمْ بِاللهِ قَائِلاً: «لاَ تُعْطُوا بَنَاتِكُمْ لِبَنِيهِمْ، وَلاَ تَأْخُذُوا مِنْ بَنَاتِهِمْ لِبَنِيكُمْ، وَلاَ لأَنْفُسِكُمْ.

نح١٣: ٤-٢٥

* * *

إشعياء النبي

اِعْتَزِلُوا، اعْتَزِلُوا. اخْرُجُوا مِنْ هُنَاكَ. لاَ تَمَسُّوا نَجِسًا. اخْرُجُوا مِنْ وَسَطِهَا. تَطَهَّرُوا يَا حَامِلِي آنِيَةِ الرَّبِّ.

إش٥٢: ١١

* * *

هوشع يتكلم عن الأسباط العشرة

أفْرَايِمُ يَخْتَلِطُ بِالشُّعُوبِ.... أَكَلَ الْغُرَبَاءُ ثَرْوَتَهُ وَهُوَ لاَ يَعْرِفُ، وَقَدْ رُشَّ عَلَيْهِ الشَّيْبُ وَهُوَ لاَ يَعْرِفُ. وَقَدْ أُذِلَّتْ عَظَمَةُ إِسْرَائِيلَ فِي وَجْهِهِ، وَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ إِلَى الرَّبِّ إِلهِهِمْ وَلاَ يَطْلُبُونَهُ مَعَ كُلِّ هذَا

هو٧: ٨-١٠

* * *

بولس إلى القديسين في كورنثوس

لاَ تَكُونُوا تَحْتَ نِيرٍ مَعَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ، لأَنَّهُ أَيَّةُ خِلْطَةٍ لِلْبِرِّ وَالإِثْمِ؟ وَأَيَّةُ شَرِكَةٍ لِلنُّورِ مَعَ الظُّلْمَةِ؟ وَأَيُّ اتِّفَاقٍ لِلْمَسِيحِ مَعَ بَلِيعَالَ؟ وَأَيُّ نَصِيبٍ لِلْمُؤْمِنِ مَعَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِ؟ وَأَيَّةُ مُوَافَقَةٍ لِهَيْكَلِ اللهِ مَعَ الأَوْثَانِ؟ فَإِنَّكُمْ أَنْتُمْ هَيْكَلُ اللهِ الْحَيِّ، كَمَا قَالَ اللهُ:«إِنِّي سَأَسْكُنُ فِيهِمْ وَأَسِيرُ بَيْنَهُمْ، وَأَكُونُ لَهُمْ إِلهًا، وَهُمْ يَكُونُونَ لِي شَعْبًا. لِذلِكَ اخْرُجُوا مِنْ وَسْطِهِمْ وَاعْتَزِلُوا، يَقُولُ الرَّبُّ. وَلاَ تَمَسُّوا نَجِسًا فَأَقْبَلَكُمْ، وَأَكُونَ لَكُمْ أَبًا، وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي بَنِينَ وَبَنَاتٍ، يَقُولُ الرَّبُّ، الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ».

٢كو٦: ١٤-١٨

أمر الرب للقديسين في الأيام الأخيرة

ثُمَّ سَمِعْتُ صَوْتًا آخَرَ مِنَ السَّمَاءِ قَائِلاً: «اخْرُجُوا مِنْهَا يَا شَعْبِي لِئَلاَّ تَشْتَرِكُوا فِي خَطَايَاهَا، وَلِئَلاَّ تَأْخُذُوا مِنْ ضَرَبَاتِهَا»

رؤ١٨: ٤

* * *

وبعد هذا كله أقول إن هذه العناوين هي قليل جدًا من كثير جدًا جدًا في كلمة الله عن وجوب الانفصال إلى الرب

فلنتقدم

ولنبن سور الانفصال من جديد

فلا نبق فيه ثغرة

ولا نكون بعد عاراً

ملحق (١)

أبـرام ولـوط

من أور إلى كـنـعــان[1]

إذا تتبعنا رحلة أبرام ومَنْ خرجوا معه من أور الكلدانيين إلـى الأرض التـي وعـد بهـا الله لـه ولنـسله إلـى الأبـد، نـستطيع أن نـرى طرق الله في معاملاته مع الإنسان بوجه عام، كما نرى الإنسان فـي تاريخـه المتكـرر علـى الأرض. لـذلك لـيس غريبًـا إذا وجدنا تمـاثلاً واضـحًا بـين رحلـتهم مـن أور إلـى أرض الموعـد وتـاريخ الـشهادة المسيحية على الأرض كما يكشفه الرب من خلال خطاباتـه السبعة إلـى الكنـائس التـي كانـت فـي آسيا يوم أعطـى الـرب يـسوع المسيح إعلانه إلى يوحنـا، والمسجلة في آخر أسفار الوحي. ليس معنى ذلك أن حياة أبرام كانت نبوة رمزيـة عن تـاريخ الـشهادة المـسيحية، لأننـا لن نستطيع أن نستخرج من حياته مـا يطـابق كل جزئيـات تاريخهـا، ولكـن التـاريخ نفسه يـشهد بأنـه يعيد نفسه، وذلـك لأن الله لا يتغير، ولأن الإنسان مع فساده لا تصلحه عبرة التاريخ. ولكن مع ذلـك فـإن في مقارنة حياة أبرام ورحلته برحلة الكنيسة ضوءًا يكشف لنا بعض الأمور التـي يجب أن ننتبه إليها، فإن كان التاريخ يشهد بأن الإنسان لم يتعلم مـن التـاريخ، فـإن أبنـاء الله لا ينبغـي أن تكون حـالهم كحـال العـالم، وإلا لمـا أعطـانـا الله أسـفارًا تاريخيـة فـي كلمتـه. لأن "هـذِهِ الأمُورَ حَدَثَتْ مِثَالاً لَنَا" (١كو١٠: ٦).

---

[1] هذا المقال نشر بمجلة "جدد وعتقاء" بالعددين ١٥٩ (ديسمبر ٢٠٠٨) و١٦٠ (فبراير ٢٠٠٩) تحت عنوان "أبرام ولوط"، ولصلته الوثيقة بموضوعنا أضفته في هذا الملحق.

أور الكلدانيين

هي مدينة في جنوب أرض النهرين، وهي العراق اليوم، كانت أكبر بلدان تلك المنطقة وأكثرها حضارة، والعاصمة السياسية لأرض شنعار، وتعادل في أهميتها بابل العاصمة الدينية، والتي كانت مركز العبادة الوثنية الأعظم في العالم آنذاك، وكانت أور أيضًا مدينة متعبدة للأوثان، لكن وجدت فيها بقية صغيرة تمثلت في تارح وابنه أبرام، وابن ابنه لوط، وساراي امرأة أبرام. كان لتارح ابنان آخران، هما هاران الذي مات قبل أبيه في أور، وناحور الذي لم يخرج معهم من أرض الكلدانيين.

وإذا قارنا حالة أور ووضع هذه العائلة فيها بما نقرؤه في رسالة الرب إلى كنيسة ثياتيرا لن نجد صعوبة في تمييز التشابه بينهما. فالرب يأخذ على ملاك كنيسة ثياتيرا أنه يسيِّب امرأته إيزابل، التي تدعي أنها نبية، حتى تغوي عبيد الرب أن يزنوا ويأكلوا ما ذبح للأوثان. وماذا كانت حال هذه العائلة؟ واحد مات، لأنه من أولاد تلك المدينة الوثنية، وواحد بقي فيها بالرغم من موت أخيه، والباقون خرجوا منها، ونِعم الخروج، فقد افلتوا من القضاء الذي تكلم به الرب عليها. (رؤ٢: ٢٢، ٢٣).

هذا ما حدث بالفعل في تاريخ الكنيسة في الحقبة التي تنتهي بثياتيرا. لقد تحول المعترفون بالمسيح إلى عبادة وثنية تحت مسميات مسيحية، وذلك تحت تأثير النظام البابوي في روما. لكن هذا لم يمنع وجود الأمناء فيها، فهناك "الباقونَ في ثَيَاتيرا" الذين

يتحول الرب من مخاطبة ملاك الكنيسة هناك إليهم[1]، مما يدل على أنه رفض المجموع التابع للنظام الوثني، ولم يعد يعترف سوى بهذه البقية كشهادة الله على الأرض. أما النظام الوثني فقد حكم عليه وعلى تابعيه.

دعوة للخروج

لقد تألم الأمناء في زمن ثياتيرا كثيرًا بسبب الحالة التي انتهت إليها المسيحية أيامهم، واضطهدوا لوقوفهم ضد مفاسد القيادة التي كانت تسمى مسيحية آنذاك. ولا أظن أن آلام تلك العائلة الفاضلة في أور كان أقل، وإن لم يذكر لنا الكتاب تفصيلات عن هذا الأمر، لكننا نستطيع أن نستنتج ذلك من كونهم من أول إشارة للرب بالخروج من مدينة عظيمة مثل أور لم يتوانوا، حتى مع رفض ناحور ابن تارح الخروج معهم.

كانت الدعوة موجهة إلى أبرام، فقد ظهر له إله المجد، ودعاه للخروج إلى أرض يريها له. لم يقل له حينئذ أين هي الأرض، ولكن دعاه فقط إلى الخروج وراءه (عب ١١: ٨). ومع أن الدعوة وجهت إلى أبرام بحسب علم الله المسبق، لكن اتحاد تارح ولوط معه في الخروج يدل على تقديرهم لهذه الدعوة، بل ربما توقُعها. ولكن حسنًا أنهم لم يتحركوا حتى أشار الرب، فهو وحده الذي له السلطان، ولو خرجوا رفضًا لما حولهم دون أن يكون المحرك هو قول الرب فإلى أين كانوا يذهبون. بكل تأكيد كانوا سيضلون، ولن يجدوا معونة من الرب في طريقهم.

---

[1] رؤيا٢: ٢٤ يترجم "ولكني أقول لكم أيها الباقون في ثياتيرا" أنظر الحاشية السفلية وترجمة داربي.

هكذا الأمناء في ثياتيرا، لما وجه الرب الدعوة الواضحة إليهم: "اخْرُجُوا مِنْهَا يَا شَعْبِي لِئَلاَّ تَشْتَرِكُوا فِي خَطَايَاهَا، وَلِئَلاَّ تَأْخُذُوا مِنْ ضَرَبَاتِهَا" (رؤ١٨: ٤). خرجوا وراء الرب وهم عالمون أن مصاعب كثيرة ستواجههم، لكنهم في أمانة للرب وثقة تامة في كفايته حزموا أمرهم وخرجوا. كان هذا الخروج المبارك هو الخطوة الأولى من رحلة الألف ميل من أور إلى كنعان، ولكن هل بلغوا إليها؟

أقاموا في حاران

تولى قيادة المسيرة تارح كما نفهم من تكوين١١: ٣١، مع أن الإعلان الإلهي كان لأبرام وليس له، لكن اعتبارات جسدية طبيعية كانت وراء تقلده مركز صاحب القرار. لم يرَ تارح رب المجد، ولم يسمع كلامًا من فيه، وواضح أن ما كان يشغل باله هو الابتعاد في أي اتجاه عن أور وبابل، فاتجه نحو الشمال، مع أن الأرض التي قصدها الله لأبرام تقع إلى الغرب من أور. وما أن وصلوا حاران حتى ظن قائد المسيرة أنهم بلغوا مقصدهم، فأقاموا هناك. وربما بالفعل تحقق مقصد تارح، فقد ابتعد عن أور حوالي خمس مئة ميلاً (ثمان مئة كيلومترًا) وهي تكفي للانفصال عن أور، ولكن مقصد الله لم يبلغوه، فقصده لا يقتصر على الانفصال عن بابل، مع كون هذا غرضًا هامًا، لكن الله يريد لهم البركة في الانفصال إليه، حيث حضوره المبارك، وحيث يستطيع مَنْ خرج من بابل وما حولها أن تكون له عشرة وشركة مع الله. وماذا يمكن أن تكون نتيجة هذا الاكتفاء بالابتعاد عن بابل؟ لقد دخل الموت إلى هذه العائلة المباركة، فمات تارح.

قد تكون حاران محطة مؤقتة على الطريق إلى كنعان، لكنها ليست كنعان أرض عمانوئيل، فالطريق من أور إلى كنعان لابد أن يمر بمواضع كثيرة، لكن كان يجب أن يستمروا في السير وراء الله إلى أن يصلوا إلى الأرض التي قال عنها. فهل نضع نحن هدفًا للبلوغ من فكرنا، فإن حققناه وقفنا واعتبرنا أننا نلنا أو أدركنا؟ إن الرسول بولس الذي تلقى كل إعلانات الكنيسة يقول في رسالته إلى القديسين في فيلبي: "لَيْسَ أَنِّي قَدْ نِلْتُ أَوْ صِرْتُ كَامِلاً، وَلكِنِّي أَسْعَى لَعَلِّي أُدْرِكُ الَّذِي لأَجْلِهِ أَدْرَكَنِي أَيْضًا الْمَسِيحُ يَسُوعُ. أَيُّهَا الإِخْوَةُ، أَنَا لَسْتُ أَحْسِبُ نَفْسِي أَنِّي قَدْ أَدْرَكْتُ. وَلكِنِّي أَفْعَلُ شَيْئًا وَاحِدًا: إِذْ أَنَا أَنْسَى مَا هُوَ وَرَاءُ وَأَمْتَدُّ إِلَى مَا هُوَ قُدَّامُ" (في٣: ١٢، ١٣). هذا بعد أن كتب وسجل كل ما أعلن له في خطابات إلى المؤمنين

لكن ما حدث مع تارح ومَنْ معه يشبه إلى حد كبير ما حدث مع نهضة الإصلاح، فقد بدأت نهضة مباركة، ولكنها ما أن بلغت بعضًا من الحق اكتفت كنائس الإصلاح به، واعتبرت أنها نالت وأدركت، وأنه ليس بلوغًا بعد ما بلغوا. لقد كان ما بلغه رجال الإصلاح الأوائل مثل لوثر وكالفن وزوينجلي إنجازًا عظيمًا، فقد تحرروا من سلطة البشر الممثلة في البابوية، وهذا في حد ذاته أمر عظيم يماثل تمامًا خروج تارح وأبرام ومن معهما من أور، كما اكتشفوا بعض الحقائق وأهمها الخلاص بالإيمان بدون أعمال الناموس، كما فتحوا الكتاب المقدس أمام الناس بعد أن أغلقت عليه ظلمات البابوية الرومانية عهدًا طويلاً، وترجموا الكتاب إلى عدة لغات، الأمر الذي ظلت روما تحرِّمه زمانًا. ولكن مَنْ جاءوا بعدهم بكل أسف وقفوا عند هذا الحد، وربما بعض الطوائف التي خرجت منهم تقدمت إلى الأمام قليلاً، والبعض، وهم الأكثر، رجعوا إلى الوراء كثيرًا، وهكذا كما لو أنهم أقاموا في حاران، أو جالوا في حدودها ولم يتقدموا نحو

كنعان. لكن المؤسف حقًا أنهم أقاموا حيث السلطات السياسية، فقد كانت الكنائس المصلحة تُحسب كل منها على دولة أو مقاطعة، تمثل هي الكنيسة الرسمية لها، فارتبطت بالعالم وتنجست به.

هكذا انتهت حركة الإصلاح إلى حال يصفها الرب في خطابه إلى كنيسة ساردس (رؤ٣: ١-٦)، فورثة نهضة الإصلاح أخذوا وسمعوا الكثير، ولكنهم لم يطلبوا فكر الرب من جهة ما لم يتعلموه بعد من الحق، واعتبروا أن الانفصال عن روما وإذاعة حقيقة الخلاص بالإيمان بدون أعمال الناموس هي الغاية القصوى، واحتموا في السلطات السياسية، التي كثيرًا ما خذلتهم، ومع ذلك لم يرجعوا للاتكال على الرب دون سواه. فكان أن صرح الرب لهم أن حالهم هي حال من له اسم أنه حي وهو ميْت. وكان ارتباطهم بالعالم السياسي هو نجاسة في عينيه، لكن بقي بينهم أسماء قليلة لم ينجسوا ثيابهم، ولم يلقوا رجائهم على الحكومات، وبهم بدأ الرب حالة جديدة للشهادة.

خروج ثانٍ

أدرك أبرام عند موت تارح أن هذا الموضع هو موضع الموت، حتى لو كانوا كعائلة لا يعبدون سوى الله. فالموت دليل على أن الحالة لا تتفق مع قصده، وعليه الآن أن يشدد ما بقي، الذي قد اقترب منه الموت. وكيف يحفظه من الموت الذي هو عتيد أن ينال منه إن بقي في حاران سوى بأن يتبع الرب إلى حيث قصد من البداية؟ فخرج (تك١٢: ٤)، فأنعم بالخروج الثاني.

لا يذكر سفر التكوين أ كان خروج أبرام من حاران بناء على إعلان جديد بأن يعاود السير في الطريق وراء الله، أم أنه تذكر إعلان الله الأول، ولكن الروح القدس يكشف لنا على فم إستفانوس

أن الذي نقله من حاران إلى كنعان هو ذات إله المجد الذي ظهر له في أور (أع٧: ٤). هكذا يعمل الله دائمًا بذاته كلما أراد إقامة وضع جديد للشهادة، يبدؤه هو في الوضع الصحيح تمامًا، ثم يسلمه للإنسان لحفظه، كما فعل في الجنة وكما فعل مع نوح.

أبرام في كنعان

خرج أبرام ومعه لوط من حاران، وأتيا إلى كنعان. وقد أخذ أبرام زمام القيادة الذي هو أحق به، فهو الذي رأى إله المجد، وهو الذي دعاه للخروج، وهو الذي أعطاه الوعد. ولا شك أنها كانت بركة عظيمة للوط البار أن يرافق أبرام في رحلته، ولو ثبت لحاز كل ما حازه أبرام من بركة، وبالفعل لزمان، للأسف لم يطُل، شارك أبرام بركته وتدريباته، حتى لمَّا كان هذا التدريب من خلال الفشل كما في حالة النزول إلى مصر.

وفي كنعان عاش أبرام غريبًا عابدًا للرب، منفصلاً ليس فقط عن أور، بل أيضًا عن حاران مكان الاسم الحي مع حالة الموت، بل حتى عمن كانوا يسكنون الأرض. لكن كانت شركته مع الله الذي كان مستعدًا دائمًا للظهور له تكفيه وتغنيه عن شركته مع أي كائن آخر.

سارت حياة أبرام في كنعان ما بين صعود وهبوط، ولكن كان في كل مرة وقع فيها هبوط يخرج بدرس جديد تعلمه لحياته. لم يكن عليه أن يخرج مرة أخرى من الأرض، فهي الأرض التي قصدها الله حين ظهر له في أور، ولكن كانت هناك تدريبات جديدة في كل يوم، ومعرفة متجددة عن الله في كل مرحلة، ودرس نافع في كل خطوة، حتى خطوات الفشل كما حدث في النزول إلى مصر أو

التغرب في جرار، أو في سماعه لفكرة ساري امرأته في الدخول إلى هاجر.

أبرام الفيلادلفي

أظهر أبرام في كنعان أن قوته يسيرة، ولكن طالما كان متمسكًا بالمواعيد التي أعطاها له الله كانت هناك نصرة. فثلاث مئة وثمانية عشر عبدًا هزم بهم أربعة جيوش لم تقف أمامهم خمسة ملوك. ولما فرغ من ذاته تمامًا وأدرك أنه بلا قوة على أن يأتي بنسل ليباركه الرب، تقوى بالإيمان وتمسك بالمواعيد، فأثمر إسحق من سارة، وفي المرات التي تهاون فيها في التمسك بالانفصال وعبادة الرب أصابه ما أصابه، ولكنه رجع سريعًا إلى حيث كان أولاً (تك١٣: ٤).

كان لأبرام دائمًا المصدر الحقيقي لرد النفس، فالفشل أمر وارد طالما نحن في الجسد، ولكن التمسك بالرب، والتقدير للشركة معه يكفي لأن يقوم من فشله ويرجع إلى مكانه بأكثر قوة وثبات.

هذا يماثل ما نراه من خلال خطاب الرب إلى كنيسة فيلادلفيا، فقوتها يسيرة، وتعرضها للفشل قائم، ولكن حفظها لكلمة الرب وتقديرها لحضوره في وسطها كان دائمًا مصدر القوة الحقيقية للرجوع إلى الرب باختبار أعظم، لذلك فإن الرب وإن كان لا يلومها على أي شر فيها، لكن يحذرها من التراخي في التمسك بما عندها.

لوط وسلوكه

لا شك أن لوطًا كان مصدر تعزية لأبرام في الفترة القصيرة التي رافقه فيها، ولكن لما ظهرت مآرب لوط واهتماماته العالمية، وعدم تقديره لبركة الرب في أرضه، ولا لقيمة حياة الغربة مع الله،

ولذة عبادته بالكيفية التي يسر هو بها ويطلبها، كان لابد لأبرام أن يترك الخيار للوط، فإما العالم وإما الرب، لكن لن يستطيع أحد أن يجمع الاثنين معًا، لأن "مَحَبَّة العَالَمِ عَدَاوَةٌ لِلهِ" (يع٤: ٤). وبكل أسف اختار لوط العالم، ولا يسعنا المجال لأن نتكلم هنا عن النتائج، ولكن القارئ يعرفها، وإن لم يكن فليقرأ أصحاحات ١٤، ١٩ من سفر التكوين.

بدأ لوط مع أبرام، لم يفرق عنه شيئًا في البداية، وحتى نهاية الأصحاح الثاني عشر من سفر التكوين كان كذلك، فكلاهما متغرب في أرض الموعد، وكلاهما أمام المذبح، وإن كان أبرام هو بانيه، ولكن لم تعد الأرض تحتملهما معًا. والواقع أنه ليست كثرة الغنى هي ما جعل الوضع غير محتمل، ولكن من الواضح أن عدم التوافق الفكري بين الاثنين بدأ يطفو على السطح، فلوط يبغي الغنى، أما أبرام فعنده الغنى ولا يطلبه، ولوط مستعد للتخلي عن التمسك بحياة الغربة وبالمذبح نظير اشتراكه في بعض الرخاء الذي في سدوم، التي رآها كأرض مصر، فتخيلها كجنة الرب التي لم يرها. أما أبرام فليس على استعداد لقبول ذلك حتى ولو كان المقابل كل الغنى الذي لدى خمسة ملوك، كان لوط مجرد فرد من رعية واحد منهم، فقد كان يكفيه "مَالِكِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ". لقد ملَّ لوط حياة الغربة، وشعر بأنه قد أصبح من القوة بما يمكنه من الاستقلال عن أبرام. فلسان حاله: "إِنِّي أَنَا غَنِيٌّ وَقَدِ اسْتَغْنَيْتُ، وَلاَ حَاجَةَ لِي إِلَى شَيْءٍ". أما عند أبرام فحياة الغربة هي كل الغنى، لأنها من لوازم الشركة مع الله.

لوط اللاودوكي

تخلى لوط عما عنده ولم يتمسك به كأبرام، فنقل خيامه نحو سدوم، وكانت تلك هي الخطوة الأولى في طريق النهاية المرة. لقد

سبق له وخطا الخطوة الأولى الحسنة عندما خرج من أور مع تارح وأبرام، ثم كان رائعًا أنه خطا الخطوة الثانية حين خرج مرة أخرى مع أبرام من حاران مع أن الاسم هناك لم يكن يرتبط بالأوثان، لكنه أدرك حينئذ أنه مكان الموت. وظهرت عليه ملامح الفيلادلفي إذ وصل إلى الأرض التي قال عنها الرب، وعاش فيها مع أبرام، ولكنه لم يتمسك بما امتلكه، وفضّل أن يكون له مكانته بين أهل العالم.

أ ليس هذا ما حذر منه الرب ملاك كنيسة فيلادلفيا؟ لقد أنذره "تَمَسَّكْ بِمَا عِنْدَكَ لِئَلاَّ يَأْخُذَ أَحَدٌ إِكْلِيلَكَ". ولكن يعقب ذلك خطابه إلى ملاك كنيسة اللاودكيين، الذي نرى فيه نتائج عدم الانتباه إلى تحذير الرب لفيلادلفيا.

إن لوطًا لم يترك الأرض، لم يعد إلى حاران، ولا إلى أور، لكنه ظل معترفًا بأن هذه هي الأرض التي قال عنها الرب، ولكنه آثر الانفتاح على العالم، وإهمال حق عبادة الرب بالانفصال عن كل ما لا يرضيه. وهذا ما فعلته لاودكية، فلا نجد في خطاب الرب إليها تلميحًا إلى ترك حق أخذته كما في ساردس، ولا فيها أكل مما ذبح للأوثان ولا زنى مثل ثياتيرا، فكل الأمور فيها شكلاً تبدو حسنة. فهي لم تترك الحق كما لم يترك لوط الأرض. ولكن التساهل في حق الانفصال إلى الرب جعلها تشعر بأنها غنية ولم تعد في حاجة للرب، وهذا أسوأ شعور يمكن أن يخالج المسيحي، حتى ولو كان ظاهريًا يقف على أرضية من الحق.

إن المشكلة الحقيقية في كنيسة اللاودكيين هي أنهم لا يعلمون حقيقة حالتهم. "لَسْتَ تَعْلَمُ" هذا قول الرب الذي وضع به إصبعه على موضع الداء. فعندهم الشعور بأنهم أفضل من الفيلادلفيين،

عندهم من الغنى ما ليس لفيلادلفيا، وعندهم من القوة ما يجعلهم يفتخرون على فيلادلفيا، وعندهم الاكتفاء الذاتي وليسوا في حاجة مستمرة للاستناد على الرب وجده. ثم إنهم من الناحية الشكلية يعرفون الحق بصورة ربما تصوروا أنها أفضل مما لفيلادلفيا. وقد يكونوا بالفعل اختزنوا من العلم الكتابي الكثير، ولكن أين التمسك بكلمة الله، وأين التقدير الحقيقي للاجتماع إلى اسمه وحضوره في وسط كنيسته. لقد سكنوا بكل أسف في سدوم!

بين لوط وأبرام

لو أعملنا المنطق والحجة فإن لوطًا أفضل من أبرام. أ ليس أن يذهب البار إلى أهل العالم حتى يكون شهادة لله بينهم أفضل من حياة الخيمة التي – كما تبدو للبعض – بلا ثمر. أ لم يرسل الرب تلاميذه "إلى العالم أجمع"؟ وما هو المبرر للانغلاق على أنفسنا؟ ثم إنه لن يشترك مع أهل سدوم في خطاياهم، فهل الانفصال بالضرورة يعني الانعزال؟ أسئلة كثيرة بحسب المنطق ردها أنه حسن أن نذهب نحو سدوم.

ولكن لوطًا نسي أنه يتبع إلهًا قدوسًا لا يمكن أن يكون في شركة مع الشر، ولا حتى في شركة مع مَنْ له شركة مع الشر. إن مقدس الرب – الذي هو نحن – ليس بالضرورة يتنجس بوجود ميت فيه، بل يكفي وجود شخص حي تلامس مع ميت، أو حتى دخل أو تواجد في خيمة فيها ميت (عد١٩: ١٤-٢٠).

نعم أرسل الرب تلاميذه إلى العالم أجمع، ولكنه قبل أن يرسلهم عرَّفهم أنهم ليسوا من العالم كما أنه هو ليس من العالم. فعليهم أن ينادوا للعالم ليأتي مَنْ يسمع إلى الرب، وأما هم.فلا يرتبطون بالعالم. لقد كان إبراهيم هو الرسالة الحية الحقيقية إلى أهل كنعان،

وبدون الانفصال ما كان ممكنًا أن يأتي إليه رؤساء الأرض معترفين "اللهُ مَعَكَ فِي كُلِّ مَا أَنْتَ صَانِعٌ" (تك٢١: ٢٢) ولا كانوا يقولون "أَنْتَ رَئِيسٌ مِنَ اللهِ بَيْنَنَا" (تك٢٣: ٦).

تأمل أخي الفرق بين هذه الشهادة لإبراهيم المنفصل ساكن الخيمة، وبين الشهادة للوط الذي سكن في سدوم، حين ذهب ليُخبر أصهاره بقضاء الرب المزمع أن ينصب على مدن الدائرة، فكان كمازح في أعينهم. لماذا؟ ألم يتجنب الاشتراك في خطاياهم؟ نعم بكل تأكيد، فقد "كَانَ الْبَارُّ، بِالنَّظَرِ وَالسَّمْعِ وَهُوَ سَاكِنٌ بَيْنَهُمْ، يُعَذِّبُ يَوْمًا فَيَوْمًا نَفْسَهُ الْبَارَّةَ بِالأَفْعَالِ الأَثِيمَةِ" (٢بط٢: ٨). ولكن عدم تمسكه بالانفصال جعل كلامه بلا قيمة.

ماذا عنا؟

ماذا عنا نحن اليوم؟ هل نحن نسعى إلى العالم حتى تحت غطاء الكرازة للعالم؟ ستكون النتيجة الحتمية هي ما انتهى إليه لوط. هل نحن متمسكين بما عندنا من الحق؟ أم أننا نتجاوز عن بعض الحق لأننا نظن أنه يُعيق الوصول إلى النفوس؟ ستكون النتيجة أن نجلب عليهم وعلينا القضاء كما فعل لوط لأهل سدوم. هل نقدر قداسة الإله الذي نعبده، أم نرى أن الاقتراب إلى أهل العالم يستحق أن نتغاضى ولو بعض الشيء عن مطاليب قداسته؟ سنخسر كل شيء، بدءًا من الشركة معه إلى ما رجوناه من اختلاطنا بالعالم.

إنني أضع هذه الأسئلة أمام كل قارئ، وحسنًا أن نكون أمناء مع أنفسنا في الإجابة.

ملحق (٢)

حوار مع الأخ جون داربي

في بداية عصر النهضة الفيلادلفية في القرن التسع عشر، كان خادم الرب جون نيلسون داربي دءوبًا في تجواله بين القديسين، يعلم في كل مكان بما يختص بالرب وكنيسته. وكان من أفضال ذلك الجيل أنهم سجلوا كتابة معظم ما دار من حوار معه في اجتماعات دراسة الكلمة. وبعد انتقال عبد الرب داربي ليكون مع المسيح قام الأخ وليم كلي بعمل جليل، إذ جمع ما أمكنه من كتابات جون داربي ومن خطاباته، وقام بنشرها لفائدة المؤمنين في كل مكان وكل زمان إلى مجيء المسيح القريب. ولم ينس ما دُوِّن من أسئلة وإجابات جون داربي عليها في تلك الاجتماعات، إذ جمع ما طاله منها في كتاب من عدة أجزاء بعنوان Notes and Jottings, J. N. D.

ومن بين ما سجله الإخوة في اجتماع إدنبره في اسكتلنده في تلك الأيام الزاهرة كان الحوار التالي عن «الشركة»[١]:

س – ما هي المحلة؟

جـ - كانت المحلة ترتيبًا للديانة الأرضية، ووضع الله هذا الترتيب للإنسان في إسرائيل، إلا أنهم لم يحفظوه، عندئذ كما نعلم أرسل الله ابنه، ولكنهم رفضوه، فارتفع إلى السماء. ومع ذلك فقد ظل الله يتعامل مع اليهود، ولكن لما رفضوا شهادة إستفانوس، أدخل الله السماويات، وبذلك انتهى دور المحلة. وفي الواقع قد أنهى

---

[1] Note & Jottings, J. N. D. pages 37 &38
ويمكن الرجوع إليها على الشبكة الدولية من خلال الربط التالي:
www.stempublishing.com/authors/darby/NOTESJOT/40007_11E.html

الصليب اعتراف الله بهذا الترتيب، ثم بعد ذلك من خلال رفض إستفانوس وقتله رفضوا النعمة كالبديل، وهذا أنهى دور المحلة، ومن هنا بدا تكوين الكنيسة في صفتها السماوية.

إلا أنه تدريجيًا فرَّطت الكنيسة في صفتها السماوية، وسكنت على الأرض، وصارت محلة. لكن الله الآن في رحمته أرجعنا إلى تلك الصفة السماوية، إلى الدعوة السماوية، ووحدة الجسد، لنحفظها ونخرج خارج المحلة، أي النظام الديني العالمي، وهنا تكمن الصعوبة التي أمامنا.

قد نجد شخصًا هو عضو في جسد المسيح، ولكنه يبقى في المحلة، فواجبنا أن نضع أولا وحدة الجسد في الاعتبار، وإلا فليس هناك أساس للشركة على الإطلاق. فكل من له روح المسيح هو عضو في الجسد، ونحن نعترف بذلك، وبالرغم من ذلك، فإن كان هذا الشخص لا يسلك بما يتوافق مع هذا الحق، ولا يتصرف عمليًا بحسبه، فلا يمكن قبوله في الشركة. لذلك فإن كون الإنسان عضوًا في جسد المسيح لا يكفي للشركة معه، بل ينبغي أن يكون عضوًا في الجسد السالك السلوك الصحيح.

س - ما هو تعريفك للمحلة؟

جـ هي نظام ديني أرضي يربط اسم الله به، بغض النظر عن ماهيته كنظام له خصائص المحلة، من حيث تميزها وأحكامها. وتعبير المحلة بالطبع يخص إسرائيل. أما موسى فقد نصب خيمة بعيدًا خارج المحلة، وقد رجع إلى المحلة للشهادة، ولكن يشوع لم يرجع معه إليها.

س - هل تعني أن ما كان يومًا حسب الحق تحول إلى محلة؟

جـ - نعم، هذا حدث لما كان حقًا لفترة قصيرة. وأهم ما يميز هذه المحلة هو الإكليروس. لا أقول أن المحلة مكونة من الإكليروس، ولكنهم هم العلامة المميزة لها.

س- هل يمكن أن تشترك في أي شيء مع واحد منهم؟

جـ- لا يجب أن تكون لي عادة السير مع أحدهم. إنني أستطيع أن أتحد مع أي مسيحي على أساس روحي، ولكن عندما يكون هناك ما هو معلن وواضح أنه ليس روحيًا، فيجب أن تكون هناك حدود للشركة. ولكن عندما ألاقي قديسًا في القطار مثلا، فلن أسأله من أي طائفة هو.

س - هل يمكن أن تعترف بكنيسة (أي كنيسة طائفية)؟

جـ - لا ينبغي أن أذهب إلى أي منها على الإطلاق، أما بالنسبة للأفراد، فهناك تفاوت في المبادئ، لذلك ينبغي أن يكون هناك تمييز بين الواحد والآخر.

كان رجل صالح يعقد اجتماعًا في منزله، وطلب مني أن أحضر اجتماع لقراءة الكتاب في البدروم، فلم أمتنع، ولكنني قلت له: "إذا وقفت (أي لخدمة الكلمة في اجتماعه) سأكون قد قمت مقام شخص من الإكليروس. ولكنه استمر في طريقة اجتماعه ولم يغيرها.

س - هل معنى ذلك أنه من الخطأ أن نتحد مع المسيحيين من الطوائف لأجل تقدم عمل الرب؟

جـ - فعلت ذلك لفترة قصيرة، لكنني وجدت أن البوق لا يعطي صوتًا واضحًا (١كو١٤: ٨).

س - هل إذا دعاك أحد رجال الإكليروس أن تذهب معه إلى مكان عام وتسانده في دعوة الآخرين، فهل تذهب؟

جـ ربما، ولكن هذا يتوقف على حالته، فإن وجدته في حالة اتضاع، فإنني سأسانده كمسيحي، ولكن ليس كإكليروسي.

وأقول: احفظ قدمك في الطريق الضيق، وقلبك متسعًا قدر ما تستطيع. فليس هناك جدوى من محاولة أن ننشئ شركة معهم، لأنها لن تكون شركة حقيقية، فإنك لن تستطيع أن تمزج الزيت والماء معًا، لأنهما سريعا سينفصلان.

سلسلة
اسألوا عن السبل القديمة

سلسلة من الكتيبات موضوعها الكنيسة ومسؤوليتنا كجماعة وكأفراد فيها . وقد صدر منها :

١. **العبادة وسلطان الرب في كنيسة الله** وهو يتناول كيفية ممارسة العبادة في الكنيسة وسلطان الرب في تسييرها .

٢. **نقاط على حروف** وفيه رد على بعض الأسئلة التي أثارها الكتيب الأول .

٣. **الانفصال** ويتناول علاقة القديسين الذين يجتمعون ككنيسة بالتنظيمات المسيحية حولنا .

عندما نُشر الكتيب الأول في طبعته الأولى لم يكن متوقعًا أن تتبعه كتيبات أخرى، لذلك صدر بدون اسم للسلسة . وهكذا بالنسبة للكتيب الثاني . ولكن لما كان الكتيب الأخير الذي بين يديك مرتبطاً ومكملاً لهما، فقد اخترنا للسلسة اسما يناسب موضوعها وحالتنا الحاضرة، وهو اقتباس من سفر إرميا، حين كان ينادي في الشعب ليرجعوا إلى كلمة الله وستصدر الطبعات الجديدة، إذا شاء الرب، من الكتابين الأولين معنونة باسم السلسة

هذا الكتاب

وهذا الكتيب هو محصلة مناقشات دارت في عدة جلسات في اجتماعات م
الانفصال . وللفائدة نوصي بأن يبدأ القارئ قراءة هذه السلسة بترتيب ص



بيت عنيا